مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح
برنامج اللغة العربية والحضارة الإسلامية

علم اللغة

إعداد

أ.د. محمد حسن وأ.د/ محمد حماد

القائم بالتدريس

أ.د. محمد حسن عبد العزيز

كود (**102**)

المحاضرات

الترم (**1**)

نسخ المحاضرات

توجد صورة من هذه المحاضرات على الموقع www.ou.cu.edu.eg

❖ اللغة ظاهرة إنسانية:

كرم الله الإنسان وفضله على جميع المخلوقات باللغة التي بها يبين بها عن فكره ومشاعره، وبها يعيش، ويحقق أغراضه، ويتعاون مع أفراد مجتمعه. قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

الإنسان حيوان ناطق (ينتج أصواتا – يفكر)

1) كان يشيع بين الفلاسفة القدماء وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق، يعنون بذلك أنه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ. ويجمع العلماء على أننا لا نستطيع تخيل فكرة ما بمعزل عن الألفاظ التي تصورها، ولن يكون الفكر المجرد من الألفاظ فكرا بأي مقياس، وناطقية الإنسان تعتمد على ركيزتين هما: ممارسة التفكير وممارسة الحياة في جماعة. والبيان والإفصاح باللغة خُطْوة أساسية في الكشف عن النفس وعن الغير وعن الكون.

2) وقد وُصف الإنسان حديثا بأنه حيوان صانع للآلة ومستخدم لها. غير أنه قد ثبت أن القردة العليا تستخدم أحيانا العصي في الحفر وفي الحصول على الثمار، وقد شوهدت وهي تقطع العصي لهذا الغرض غير أن استخدام آلات أكثر تعقيدا يتطلب نوعا من التعاون الإنساني، وهذا يتطلب تقسيم العمل بين المشتركين فيه، ولن يتحقق هذا إلا باستخدام اللغة. ولهذا استقر رأي الباحثين عن أن نشأة اللغة مرتبطة بالعمل الجماعي.

3) إن اللغة هي أعظم الآلات التي استخدمها الإنسان في تحقيق أغراضه وفي التعاون بين البشر.

4) الإنسان مهيأ بيولوجيا وتشريحيا وعقليا للكلام: البحوث التي تتناول علاقة اللغة بالمخ بعامة أو بمراكز معينة فيه، وبجهازي النطق والسمع تؤكد أن:

أ– اكتساب اللغة ما هو إلا تطور بيولوجي لا علاقة له بالذكاء. ولا بنسبة وزن دماغه إلى جسمه.

ب– ينقسم المخ الإنساني إلى نصفين متماثلين، يسيطر النصف الأيسر منه على الجانب الأيمن من الجسم، ويسيطر النصف الأيمن منه على الجانب الأيسر من الجسم وأن النصف الأيسر من المخ يضم مراكز معينة مختصة بإنتاج الكلام واستقباله وتفسيره ليس لها نظير عند الحيوان.

ويستخلص من ذلك أن الإنسان مُهيأ بيولوجيا لاكتساب اللغة.

ج- قد يتوفر للحيوان أجهزة للتصويت والسمع أدق وأقوى مما لدى الإنسان. بيد أن ما يسمى أعضاء النطق عند الإنسان لها صفات تجعلها مناسبة لعملية الكلام وإن لم تكن تلك الصفات لازمة لأداء وظائفها الضرورية.

كما أن الإنسان وحده لديه القدرة على تفسير الرموز الصوتية التي تصل إلى مخه في صورة إشارات كهربية – إلى معان بفضل ما لديه من خبرات سابقة لوجود مركز للذاكرة في مخه.

وهكذا تبين أن الإنسان مهيأ فسيولوجيا وتشريحيا لإنتاج الكلام واستقباله وتفسيره.

❖ لدى الحيوان والإنسان أدوات للاتصال ببني جنسه:

يستخدم الإنسان اللغة للاتصال بغيره من بني جنسه وللتأثير فيهم ودفعهم إلى أنواع من السلوك الذي يرغبه عند الاتصال بهم ولديه القدرة على التعرف على ما يحدثه هذا الاتصال اللغوي بالغير في شكل ردود أفعال أو استجابات تؤكد أن عملية الاتصال قد تمت، وإنما قد فسرت تفسيرا صحيحا أو خاطئا.

❖ ولغتنا تتضمن جانبين لا ينفصلان:

1- جانب اللفظ أو الشكل ويتمثل في منطوقات أو إشارات.

2- جانب المعنى أو المضمون ويتمثل في مفاهيم أو سلوك.

ولدى الحيوانات أدوات اتصال ببني جنسها قد تكون أصواتا أو إشارات أو روائح.. الخ وهي تحقق لجنسها شكلا من الاتصال ولكن يختلف في النوع عن أدوات الاتصال عند الإنسان.

❖ مقارنة بين لغة الإنسان وأدوات الاتصال عند الحيوان:

تؤكد البحوث الحديثة التي جرت على أدوات الاتصال عند الحيوان ومقارنتها باللغة الإنسانية أن الاختلاف بينهما نوعي، وأن هذه الأدوات – مهما تطورت لن تتوافر لها صفات اللغة الإنسانية ومن أهم ما يفرق بينهما:

1) أن أشكال الاتصال لدى الحيوان محدودة العدد، محصورة المجال، فالنحلة مثلا ترقص رقصات محدودة تشير بها فحسب إلى المسافة والاتجاه، على أن أشكال اللغة التي ينتجها الإنسان لا تنحصر ومجالاتها بلا حدود.

2) الأصوات والإشارات عند الحيوان رد فعل مباشر لمثير ما، قد يصرخ عند الخوف أو الجوع.. الخ ومن ثم فهناك تلازم بين العلامة والمدلول. وليس بين لغة الإنسان وما تدل عليه علاقة

مباشرة، ومن ثم فلا تلازم بين العلامة والمدلول. فليس بين لفظ (قلم) والقلم نفسه غير العلاقة العرفية التي تختلف باختلاف اللغات واللهجات.

3) **صيحات الحيوان كتل صوتية لا يمكن معرفة حدودها، ومن ثم فهي لا تتضمن وحدات مستقلة. أما اللغة الإنسانية فلها وحدات يمكن الفصل بينها ومن ثم تحليلها. وعلى سبيل التمثيل تتضمن اللغة جملا والجملة تتألف من كلمات والكلمات تتألف من حروف.**

4) **لدى الإنسان مقدرة هائلة على إبداع جمل لا حصر لها من كلمات محصورة وقواعد معروفة. أما الحيوان فعلاماته محدودة العدد ولا يقدر على تنويعها.**

5) **لغة الإنسان لها قواعد معقدة متعارف عليها بين الجماعة التي تستخدمها، ومن ثم تتنوع بعامل الزمان والمكان.**

أما أدوات الاتصال عند الحيوان فثابتة لا تختلف بأية اعتبار زماني أو مكاني.

6) **لغة الإنسان مكتسبة من المجتمع الذي يقدر له أن يعيش فيه، أما أدوات الاتصال عند الحيوان فغريزية متوارثة تولد معه.**

7) **الإنسان قادر على استخدام الألفاظ على سبيل التعميم والتخصيص فاسم الجنس(شجرة) تدل على كل ما في الكون من أشجار، و(شجرتي) تدل فحسب على شجرة بعينها.**

وليس لدى الحيوان قدرة على استخدام صيحاته على النحو السابق.

8) **يستخدم الإنسان لغته للإشارة إلى أشياء أو أحداث بعيدة عنه زمانا ومكانا. أما الحيوان فقدرته على الاتصال مرتبطة فحسب بلحظة الاتصال.**

– **<u>ليس للطفل المعزول عن المجتمع الإنساني لغة.</u>**

ليس في مقدور الحيوان استخدام لغة إنسانية كما يستخدمها الإنسان.

<u>تؤكد البحوث العلمية التي جرت على أدوات الاتصال عند الإنسان والحيوان:</u>

1) **قد يكون الحيوان قادرا على إنتاج أصوات وعلى استخدامها، ولكن بقدر محدود في أشكالها وفي مضامينها.**

2) **أن الحيوان لا يمكنه أن ينتج لغة إنسانية – مهما بذل في تعليمه، ونجاح بعض الحيوانات**

في إنتاج بعض أصوات شبيهة بلغة إنسانية قائم على تدريبه وتقليده، ومن ثم فلا يمكن استخدام ما تعلمه استخداما وظيفيا للاتصال بالإنسان.

3) أن الإنسان الذي عاش منذ ولادته بين الحيوانات أو في عزلة عن المجتمع الإنساني ليس في مقدوره أن يكتسب لغة إنسانية كاملة إذا تجاوز الثانية عشرة من عمره.

4) أن الطفل يولد ولديه استعداد فطري لتعلم لغة ما عاش بين أهلها.

5) أدوات الاتصال لدى الحيوان موروثة، ولغة الإنسان مكتسبة.

6) ثمة فرق بين الاكتساب وهو طاقة فطرية لدى كل إنسان بها يتمكن من لغة المحيطين به، أما التعلم فعملية مشروطة يقوم بها معلمون وفقا لمنهج تعليمي منظم، ومن ثم فالطفل المصري يكتسب العامية المصرية ويتعلم اللغة العربية الفصحى.

❖ اللغة أصوات:

الأصوات المنطوقة هي المادة التي تتألف منها اللغة الإنسانية وهذه الأصوات لها جوانب ثلاثة: إصدار الصوت، وانتقاله عبر الهواء، واستقباله لدى السامع وهذه الجوانب هي ما يدرسه علم الأصوات.

❖ النظريات العلمية في اكتساب اللغة الإنسانية:

أ- النظرية التقليدية:

- تقرر البحوث التقليدية التي جرت في بداية الأربعينات أن الطفل بعد أن يتجاوز مرحلة المناغاة ينتقل خطوة أخرى إلى الأمام فيبدأ بالانتباه إلى أصوات المحيطين به، ويستمع إليها في نفس الوقت الذي يرى فيه ما يحدث في وجوههم وشفاههم من حركات.
- ويحاول بقدر ما تسمح به قدرته تقليد هذه الحركات ليسمع ما ينتج عنها من أصوات.
- ويشارك في هذه العملية كل من يحيطون به من كبار وصغار بل إنهم في كثير من الأحيان يحاولون تقليد نطقه.
- ولا شك في أن للتقليد دورا ملحوظا في عملية الاكتساب ولكنه لا يفسرها تفسيرا صحيحا كافيا.
- فعند المقابلة بين لغة الكبار الذين يقلدهم ولغته الطفلية نجد خلافا كبيرا.

فالطفل يقول مثلا أطه إنين. مع أن الكبار يقولون أطتيين.

- **واللغة عملية معقدة، وليس لدى الأم أو غيرها ممن يحيطون بها معرفة كافية بها ولا وقت ولا خبرة في إكسابها لأطفالهم.**
- **وقد أثبتت التجارب أن الطفل لا يحتاج لكي يكتسب اللغة إلى أكثر من أن يعيش في مجتمع يتكلم، وسوف يكتسب لغة هذا المجتمع لقي اهتماما بلغته أم لا.**

ب- النظرية الحديثة:

يرى أصحابها أن التقليد قد يكون له دور في اكتساب اللغة ولكنه لا يفسره لأن الظاهرة اللغوية عملية معقدة، وتتطلب قدرات عقلية عالية، كما أن الطفل يكتسب اللغة في مرحلة قصيرة نسبيا.

❖ النظرية الحديثة قائمة على:

1) اللغة مجموعة من لدى الطفل ملكة أو Competence يولد مزودا بها تعينه على اكتساب اللغة، والملكة تعني الاستعداد العقلي لتوليد الجمل وفهمها دون سابق معرفة أو تدريب.

2) لدى الأطفال لغة خاصة بهم، لها قواعدها التي يستنبطونها مما يسمعون في بيئتهم اللغوية، وتتدرج في النمو حتى تصل إلى مستوى لغة الأم، أي أن النظرية تفترض أن الطفل لا يكتسب اللغة عن طريق محاكاة المحيطين به. بل إنه يكتسبها بنفسه بتكوين فرضيات واستعمال قواعد خاصة به يجري تعديلها باستمرار إلى أن تشبه القواعد التي تحكم لغة الكبار.

3) يؤلف الأطفال جملا لم يقوموا قبلا بتأليف معظمها، ويفهمون جملا لم يسمعوها من قبل بفضل تلك الملكة التي أشرنا إليها.

4) لا أحد يعلم الأطفال قواعد اللغة، فالطفل مزود بنظرية كامنة في العقل عن اللغة يستخدمها بالفعل حين يستخدم اللغة.

5) ليس اكتساب اللغة إلا تكورا بيولوجيا لا علاقة له بالذكاء.

6) الطفل الذي لا يعيش في مجتمع يتكلم لن يقدر أن يكتسب اللغة، لأنه يكتسب اللغة مما يسمعه من المحيطين به.

7) يكتسب الطفل لغة مجتمعه في فترة قصيرة نسبيا قد لا تتجاوز الرابعة من عمره.

8) يكتسب الطفل لغة مجتمعه على مراحل متدرجة. ولا علاقة لهذا بجنس معين أو بلغة معينة، فأطفال العالم جميعا يمرون بنفس المراحل تقريبا.

❖ «اللغة نظام»

9) القوانين أو الأنظمة تصف مجموعة لا حد لها من الجمل، كل جملة منها لها معنى يقترن بسلسلة من الأصوات والجملة تتألف من مجموعة من الكلمات، ومعنى الجملة يتوقف على معاني الكلمات التي تتألف منها، كما يتوقف نطق الجملة على نطق الكلمات التي تتألف منها.

- ولهذا يقال إن اللغة تتألف من جمل، والجملة تتألف من كلمات، والكلمات تتألف من أصوات وهذه هي آخر ما يمكن أن ينتهي إليها الشخص العادي في تحليله. أما اللغوي فيرى أن كل

صوت من هذه الأصوات المفردة يمكن تحليله لأنه في الحقيقة يتركب من عدد من الصفات.

- وليست الجملة التي نعدها الوحدة الكبرى للكلام مجرد مجموع من الكلمات، بل هي كذلك بالإضافة إلى الطريقة التي بها تنتظم هذه الكلمات وتتركب ولهذا يقال إن الجملة كل تنظيمي، والكل التنظيمي دائما أكبر من مجموع أجزائه، وأشبه شيء بذلك أن نقارن فرقة من الجيش تتألف من عدد محدد بجماعة من الناس في الشارع لها نفس العدد. فالشأن أن فرقة الجيش تمتاز بأمر إضافي هو النظام الذي يؤلف بين أفرادها ومن ثم كان للفرقة من الخصائص والتأثير ما ليس للجماعة المذكورة.
- وخلاصة القول عن اللغة أنها نظام بالغ الدقة يتألف من عدد من الأنظمة الفرعية هي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي وكل نظام من هذه الأنظمة له وحداته الخاصة وله قواعده في تأليف وحداته، ولهذا قيل اللغة نظام الأنظمة.

❖ **الوحدات التي تشكل النظام الصوتي في اللغة العربية؟**

- **لكل لغة عدد محدود من الوحدات الصوتية يمكن أن تجتمع في أشكال خاصة بعدد محدود من الطرق.**

– **فاللغة العربية مثلا تستخدم أربعة وثلاثين وحدة صوتية تتوزع على النحو الآتي:**

- **ثلاث وحدات للحركات القصيرة هي الفتحة والكسرة والضمة (لا تستخدم العربية رموزا كتابية أساسية تشير إلى الحركات القصيرة).**
- **ثلاث وحدات للحركات الطويلة هي: ألف المد وياء المد وواو المد.**
- **وحدتان لأنصاف الحركات هي الواو والياء (تستخدم العربية رمزا كتابيا واحدا لواو المد في نحو (فُول) وللواو التي هي نصف حركة في نحو (وَعَد) وتستخدم رمزا واحدا لياء المد في نحو (فِيل) ولـلياء التي هي نصف حركة في نحو (يأس).**
- **ستة وعشرون وحدة من الصوامت (السواكن): الهمزة والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء.**

❖ **النظام الصرفي:**

يتمثل النظام الصرفي من الطرق التي تبنى بها المورفيمات من الوحدات الصغرى (الحروف أو الفونيمات).

المورفيم: هو أصغر وحدة ذات معنى في اللغة مثل الكلمة مصر وكتاب.. الخ. وهو نوعان: مورفيم حر، وهو ما صح وقوعه منفردًا مثل شجرة وكتاب.. الخ. ومقيد وهو: ما لا يصح وقوعه منفردًا مثل: ألف الاثنين واو الجماعة، ياء النسب همزة الاستفهام، همزة التعدية.

❖ **اللغة إما لصقية وإما اشتقاقية:**

الإنجليزية من اللغات اللصقية فتتعدد بها الكلمات بما يسمى اللواصق مثل اللاصق (ly) في الكلمات slowly و happily، والسابقة unhahappy، unusual.

❖ **اللغة العربية لغة اشتقاقية:**

تستخدم اللغة العربية الجذور لتؤلف منها الكلمات فالكلمات كاتب ومكتوب وكتب ومكتبة وكتاب، كتب وكُتب وغيرها ترجع إلى أصل واحد هو (ك. ت. ب) بهذا الترتيب، وأغلب الجذور من أصول

ثلاثية غالبا من السواكن.

وكل ما اشتق من الجذر فيه معنى عام مشترك في كل الكلمات.

وتختلف الكلمات في الدلالة بإضافة حركات أو حروف زيادة مثل

كاتب	Kaatib	من فعل الكتابة
مكتوب	Ma-ktuub	من وقع عليه الكتابة
مكتب	Ma-ktab	اسم مكان يكتب فيه
كتب	Kataba	حدث الكتابة وقع في الماضي

والعلم الذي يدرس بنية المورفيمات هو علم الصرف.

❖ النظام النحوي:

يدرس علم النحو القواعد التي تنتظم تأليف الكلمات في عبارات أو جمل مثل العبارة: نهر النيل = علاقة المضاف – المضاف إليه.

ومثل الجملة نهر النيل طويل = علاقة المبتدأ – الخبر.

❖ الإعراب:

ثمة لغات لا إعراب فيها لتنظيم علاقة الكلمات والجمل بعضها ببعض.

وثمة لغات تستخدم الإعراب لبيان ذلك كاللغة العربية مثل: ضرب محمد عليا فالفاعل هنا هو محمد وهو مرفوع وعليا مفعول به وهو منصوب.

وبهذا الإعراب تتحدد العلاقات في الجملة.

❖ وثمة علاقة أخرى مثل:

الرتبة أي نظام الجملة بتقديم أحد عناصرها أو تأخيره.

فالصفة في العربية مثلا تتأخر عن الموصوف لا غير ومن ثم فهي رتبة ثابتة أو محفوظة، أما المفعول به فقد يتقدم على الفاعل أو على الفعل ومن ثم فرتبته حرة.

وتلعب الرتبة دور الإعراب في الانجليزية ففي الجملة **tom hit john** المتقدم دائما هو الفاعل.

المطابقة تتم في بعض السياقات في ظروف محددة، فتتم المطابقة بين المبتدأ والخبر، والصفة والموصوف فيقال محمد قائم، وزينب قائمة والمحمدان قائمان، والفاطمتان قائمتان، ورجل قائم والرجل القائم.. الخ.

ولا يمكن بحال مخالفة هذه القواعد.

والحال في الانجليزي يختلف قليلا عما في العربية فيقال و **the good gid**، **The good men**... الخ.

❖ اللغة رمزية

- مفهوم الرمز، والفرق بينه وبين العلامة.

- خصائص الرمز.
- كيف يتم الربط بين الرموز والأشياء التي تشير إليها.

– أصوات اللغة هي مادتها، والأصوات رموز أي بدائل نستخدمها للإشارة إلى أشياء ليست هي الأصوات ذاتها.

– فالأصوات التي تمثل الكلمة (الكتاب) مثلا هي رموز أو وسيلة للإشارة إلى الكتاب، وليس ثمة علاقة ضرورية بين أصوات هذه الكلمة والكتاب نفسه. وهذا ما تعنيه العبارة (اللغة رمزية).

– الرمز يتطلب وجود مرسل يهدف إلى الإعلام بشيء ومستقبل يتلقى الرمز.

– الدخان الذي يتصاعد من النار علامة على وجود نار، ونحن نفهم من وجوده وجود نار رغم أننا لا نراها، الدخان هنا علامة، ولكن الدخان قد يصبح رمزا إذا ما اتفق عدد من الناس على استخدامه وسيلة للتحذير من عدو أو للدعوة إلى طعام كما يفعل الهنود الحمر.

– والرمز يتطلب قصدا أما العلامة فلا تتطلب ذلك بالضرورة، فاحمرار الخدين مثلا علامة على الخجل وليست رمزا لأنها نتيجة حالة من الانفعال، ولا يقصد من تحدث له أن يستخدمها رمزا.

❖ أهم خصائص الرمز:

1- يتطلب الرمز وجود مرسل يهدف إلى الإخبار بشيء ومستقبل يتلقي الخبر.

2- العلاقة بين الرمز والمرموز إليه اعتباطية، فليس ثمة علاقة ضرورية بينهما. ففي وقت ما من تاريخ اللغة ربط المتكلمون بين لفظ ما وشيء ما، وقد كان من الممكن – وما زال – أن يستخدموا لفظا آخر.

3- يتطلب الرمز إلى الشيء قصدا من المرسل، ووعيا باستخدام الرمز وسيلة لتحقيق مراده.

4- لا يمثل الرمز الشيء الذي يشير إليه، بل يعني شيئا غير ذاته ولهذا يحتاج إلى تفسير.

يحدث الربط بين الرمز وما يشير إليه بطريق الخبرة المتكررة، فالطفل مثلا عند اكتساب اللغة يتكرر أمامه من المحيطين به الربط بين لفظ (الكرة) مثلا والكرة نفسها. فيتوافر لديه خبرة بحيث ينوب أحد الشيئين الرمز أو الشيء عن الآخر، فعندما يرى (الكرة) ينطق لفظ (كرة) وعندما يسمع هذا

اللفظ تتكون في ذهنه صورتها. وهذا ما يحدث للكبار أيضًا حين يستخدمون لفظا يشير إلى مدلول جديد.

❖ اللغة عرفية:

خلاصة القول في هذا المفهوم

1- أن اللغة تتألف من أصوات، وهذه الأصوات رموز تستخدم للإشارة إلى أشياء خارج اللغة.

2- أن اللغة اعتباطية، فليست هناك علاقة طبيعية بين الألفاظ والأشياء التي تمثلها.

3- اللغة عرفية أي أن الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع لغوي معين يستخدمون اللغة المعينة بطريقة واحدة متفق عليها.

4- في كل اللغات عدد قليل من الكلمات ليس عرفيا مثل الكلمات التي توحي أصواتها بمعانيها مثل قهقه.

❖ اللغة معبر وموصل ومؤثر:

«اللغة مُعَبِّر وموصل ومؤثر».

- اشرح النص السابق.
- بين بعض مظاهر الوظيفة الاجتماعية للغة.

❖ اللغة معبر:

- تعبر اللغة عن أفكارنا، وهي أداة للتفكير، ووسيلة للتفاهم وتسجيل الأفكار والرجوع إليها والعلاقة بين اللغة والتفكير علاقة قوية لأن وجود اللغة ضروري لإمكان التفكير.
- واللغة معبر عن مشاعرنا من حزن وسعادة وخوف وأمل... ومن ثم فهي وسيلة للتنفيس عما يدواخلنا.

❖ اللغة موصل:

- اللغة أداة لنقل أفكارنا ومشاعرنا إلى الآخرين.

❖ اللغة مؤثر:

- اللغة أداة للتأثير على الآخرين ممن نرتبط بهم في الحياة، فنحن نستخدمها لدعوتهم إلى الاقتناع برأي سياسي أو دعوة اجتماعية أو دينية، وقد تكون وسيلة لدفعهم لشراء سلعة أو للإسهام

في عمل خيري أو لتحقيق مصلحة خاصة.

ولكن ليست اللغة في كل الأحوال أداة للتعبير والتوصيل والتأثير فقد تكون في كثير من الأحيان استجابة لنزعة فطرية لدى الإنسان في إنشاء علاقة اجتماعية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

لغة التحيات وألفاظ التجمل والتلطف في المناسبات الاجتماعية المختلفة إن اللغة في هذه المواقف ليست إلا وسيلة لخلق العلاقات الاجتماعية أو تلبية رغبة البشر في الاجتماع الإنساني.

اللغة وسيلة للهو والمتعة. ومن أوضح أمثلة هذه الوظيفة لغة الأطفال.

اللغة وعاء للحفاظ على تجارب الأمة الفكرية والشعورية والاجتماعية.

اللغة أداة توجيه ودعوة بل سيطرة – لتحقيق مصالح من يملكون أجهزة الإعلام والإعلان.

اللغة أداة لتحقيق المصالح والتعاون بين البشر.

مثال ذلك لغة البيع والشراء راجع.

❖ السياسة واللغة:

تعرف السياسة بأنها ممارسة القوة لإنهاء حالة الصراع بين الخير العام ومصالح الجماعات والأفراد من خلال الحكم وفي إطار الدولة، وقديما عرف الفلاسفة علم السياسة بأنه علم تدبير المدينة والأمصار والقري، وفي التراث الإسلامي تعرف السياسة الشرعية بأنها: الإمامة العامة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

❖ عناصر الخطاب السياسي:

مضمون الخطاب وهو قضايا المجتمع واهتماماته مثل: البطالة والحرب والسلام.. الخ.

المرسل يقوم بالخطاب عادة أفراد متميزون ذوو مراكز قادرة على صنع الأحداث كالوزراء وأعضاء المجالس الشعبية.

المتلقي هو الجمهور المستهدف بالخطاب.

وسيلة التوصيل، من أهمها: وسائل الإعلام، وأجهزة الاتصال الخاصة كالهاتف والمحمول.. الخ.

❖ وظائف اللغة السياسية:

1- نشر المعلومات: يقوم السياسيون بتوضيح طبيعة السياسات التي ينهجونها.

2- ترتيب الأولويات ويقصد به قدرة الاتصال على تحديد اهتمامات الشعب بقضايا المجتمع.

3- التفسير: يوضح السياسي مزايا مشروعاته، ويفسر دعوته إليها.. الخ.

4- تصور الماضي والمستقبل: يستعيد السياسيون أحداث الماضي أو أمجاده ليثيروا مشاعر الفخر والأمر عند مخاطبهم، ويعدون الناس بمستقبل زاهر يتمتع به كل المواطنين.

5- الحث على العمل تعمل اللغة السياسية على تعبئة المجتمع ودفعه إلى العمل.

❖ **الرموز السياسية:**

هي الكلمات أو الأفعال أو الصور التي تثير الولاء أو التشجيع على الحياة الكريمة، مثل: جمال عبد الناصر رمز جلاء الإنجليز عن مصر، الإصلاح الزراعي..

عمر المختار رمز لمقاومة الشعب الليبي للاستعمار الإيطالي.

وتشكل الرموز قوة دافعة إلى العمل لتحقيق الأهداف وطمأنة الناس على حياتهم ومستقبلهم.

❖ **أساليب تحقيق الرموز:**

1- التمويه أي تحسين القبح باستخدام عبارات ملطفة وغير مباشرة.

هزيمة 1967 ← النكسة وغزو إسرائيل الهمجي للبنان ← سلام جليل.

2- الاطراد هو المبالغة في المدح أو القدح.

أمريكا تتولى زمام العالم.

3- الاستعارة: تفسير المفاهيم السياسية الغامضة بربطها بشيء واضح ومفهوم.

الجيش: العيون الساهرة، الذراع الطويلة، القطط السمان. زوار الفجر.

❖ **الصورة الشعرية المنغومة للغة السياسية:**

تصاغ المفاهيم السياسية في صورة شعرية جمالية، وفي جمل أو عبارات حافلة بالسجع والجناس.

الاستقلال التام أو الموت الزؤام، الصراع العربي صراع وجود لا صراع حدود.

من أمثلة اللغة السياسية فى تاريخ العرب

- حين سمع على ابن أبي طالب من يقول (الحكم لله) أجاب قائلا (كلمة حق أريد بها).
- لما أراد معاوية بن أبي سفيان أخذ البيعة لابنه يزيد كتب إلى الأمصار أن يوفدوا إليه من يمثلهم، وقد وفد على المجلس وفد كان على رأسهم يزيد ابن المقفع الذي وقف وقال: أمير

المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد، فمن أبي فهذا وأشار إلى سيفه، فقال معاوية: أجلس فأنت سيد الخطباء.

- وهكذا يبدو لنا بوضوح كيف تؤثر اللغة في صناعة الأحداث، وفي صناعة الرأي العام بفضل الصياغة الماهرة.

❖ لغة الحديث ولغة الكتابة:

يتحقق الاتصال اللغوي بين أفراد المجتمع في شكلين: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ومن أهم نتائج دراسة هذين الجانبين.

1) اللغة المنطوقة أسبق وجودًا من اللغة المكتوبة، وينتج الإنسان من المنطوق أكثر مما ينتجه من المكتوب.

2) فشلت المحاولات التي تهدف إلى بناء منظومة من الحروف لكتابتها.

3) الكتابة ضرورية للتفكير العلمي، أما الثقافة الشفاهية فلا يمكن أن تكون أداة للتفكير العلمي.

4) الكتابة هي السبب المباشر لظهور اللغة المعيارية (الفصحى) وتقعيد قواعدها ووضع معجمها.

5) اللغة المكتوبة موحدة ومتجانسة على أن اللغة المنطوقة غير موحدة وغير متجانسة.

6) تختلف وظائف اللغة المنطوقة عن وظائف اللغة المكتوبة فالأولى أصلح لشؤون الحياة اليومية والثانية أصلح للاتصال الرسمي وللتعليم والترجمة وهي الركيزة الكبرى للهوية الوطنية.

7) لغة الحديث في الغالب لغة انفعالية، ولغة الكتابة في الغالب لغة منطقية.

8) لغة الحديث حافلة بالعناصر الانفعالية وبخاصة الأساليب الإنشائية، مثل أسلوب التعجب والأمر والنهي والندا.. الخ.

9) لغة الحديث حافلة بعناصر صوتية وإشارية تزيد من طاقتها الانفعال مثل التنغيم، والوقف والوصل والنبر والإشارة ببعض أعضاء الجسم واختراع علامات الترقيم في اللغة المكتوبة للتعبير عن هذه الطاقة قليل الفائدة لعدم التزام الكتاب بها.

10) **ثمة مفردات مشتركة بين لغة الحديث ولغة الكتابة، وتختص كل منهما بمفردات مميزة.**

11) **لابد من اكتمال عناصر الجملة في اللغة المكتوبة، وفي لغة الحديث قليلا ما تكتمل، فأغلبها عبارات وجمل ناقصة، إذ تتكفل العناصر الصوتية والإشارية باستيفاء الكلام، كما أن سياق الكلام اللغوي والاجتمال يقوم بالدور نفسه.**

❖ **وضع اللغويون معايير لتعريف الجماعة وهي:**

1- المعيار اللغوي:

- **تعرف الجماعة بأنها: كل الناس الذين يستخدمون لغة أو لهجة واحدة.**
- **وأصحاب هذا المعيار لا يهتمون بالجوانب السياسية والاجتماعية والمؤثرة في تكوين الجماعة.**
- **وعيب هذا المعيار أنه يعرف الجماعة باللغة، ويعرف اللغة بالجماعة وهذا خطأ في التعريف.**

2- المعيار السياسي:

- **تعرف الجماعة بأنها اللغة الرسمية التي تنص عليها دساتير الدول أو قوانينها وهذا يفترض أن كل أفراد هذه الدولة يستخدمون هذه اللغة، وأنهم لهذا السبب يؤلفون جماعة لغوية تستخدم لغة واحدة متجانسة.**
- **بيد أن الواقع اللغوي لا يشهد لهذا الاعتبار، ففي بعض البلاد لغتان أو أكثر يتكلم بها عدد من السكان يكثر أو يقل.**
- **ففي فرنسا نجد بعض السكان يتكلمون البرتيانية وهي لغة مخالفة تماما للغة الفرنسية الرسمية.**
- **وفي الجزائر نجد بعض السكان يتكلمون الأمازيغية، وهي لغة مخالفة تماما للغة العربية الرسمية.**

3- الفهم المتبادل:

اللغة عند أصحاب هذا المعيار: جماعة من الناس يفهم بعضهم بعضا عندما يتحدثون. فالعربي يفهم ما يقوله عربي آخر، ومن ثم فهما يتحدثان لغة واحدة.

والإنجليزي (الذي لا يعرف العربية) إذا حدث بها إنجليزيا آخر مثله، لا يفهم حديثه، ومن ثم فالعربية لغة والإنجليزية لغة أخرى.

غير أن هذا المعيار غير كاف لما يأتي:

- **لدينا عدة أقاليم أو مقاطعات يستطيع سكانها أن يتفاهموا مع جيرانهم المباشرين الذين يقومون على الطرف الآخر من الحدود.**

- الفهم المتبادل مسألة نسبية، وقد يتحقق بدرجات متفاوتـه لظروف ترجع إلى طبيعة العلاقة بين اللغتين وثقافة السكان.

(انظر ص100، 101 من الكتاب)

4- الانتماء إلى جماعة معينة.

تعرف الجماعة وفقا لهذا المعيار بأنها جماعة من الناس يعدون أنفسهم متحدثين بلغة واحدة، فالعربي يتكلم العربية؛ لأنه يعد نفسه فردا من جماعة المتحدثين بها.. وهكذا. وبهذا فالجماعة هي التي تحدد هويتها من ذاتها لا من خارجها.

❖ بين أفراد الجماعة وفقا لهذا المعيار:

- معايير لغوية (صورة مثالية مجردة) لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم اللغوي فكأنهم يتحدثون بطرق متماثلة.
- معايير ثقافية (صورة مثالية مجردة) لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم الاجتماعي، والغالب أن يتشابهوا في التقاليد والأعراف والقيم، ولهم أيضا تاريخ مشترك.

العناصر التي تحدد مفهوم (اللغة الفصحى أو المعيارية) وكيف نشأت العربية الفصحى في شبه الجزيرة العربية.

<u>العناصر التي تحدد مفهوم اللغة الفصحى أو المعيارية:</u>

1- اللغة الفصحى شكل لغوي مختار يكتسب أهميته من ظروف سياسية أو اجتماعية أو أدبية.

- والمعروف أن اللغة الفصحى في أغلب بلدان العالم كانت اللغة الرسمية لعدد كبير من الدول، وكانت تمثل اللغة التي ينبغي على جميع أفراد المجتمع أن يستخدموها.
- كانت الفرنسية لغة أهل باريس عاصمة الدولة، واللغة الإنجليزية كانت لغة أهل لندن عاصمة المملكة المتحدة.

2- اللغة الفصحى شكل يعده الناس لغتهم القومية، وهو مظهر شخصية أصحابه ورمز استقلالهم ومن ثم يحظى بمكانة تفوق أي شكل لغوي آخر في المجتمع.

- فاللغة العربية الفصحى تعد اليوم رمز العروبة والهوية العربية في كل أنحاء العالم العربي.

3- واللغة الفصحى لها وظائف أكثر ارتباطا بالشئون العامة للأفراد، فهي لغة الدولة بهيئاتها

المختلفة، وهي لغة التعليم بكل مراحله، ولغة العلم بكل فروعه.

4-واللغة الفصحى شكل لغوي ثابت نسبيا يعد معيارا للصواب وحسن القول، شكل تحفظه الكتابة، وترعاه الهيئات المعنية باللغة، ويحاول الالتزام به أفراد المجتمع.

- نشأت اللغة العربية الفصحى في مكة فكانت لغة قريش، وكان لقريش مكانة خاصة في الجاهلية وكانت الفصحى لغة الأدب؛ كانت لغة الشعر. وقد كان الشعراء والخطباء هم الذين خلقوا هذه اللغة الأدبية المشتركة وهم الذين جعلوها على ألسنة العرب على اختلاف لهجاتهم.
- وجاء الإسلام فأصبحت لغة القرآن وتدعمت بذلك مكانتها، وبفضلها تخلصت من كثير من اللهجات، وأصبحت بذلك لغة لكل العرب.

المراحل التي تمر بها اللغة المعيارية (الفصحى)

❖ **تمر اللغة لكي تكون معيارية بالمراحل الآتية:**

1- مرحلة الاختيار أي اختيار نوعية لغوية معينة لها أهمية اجتماعية أو سياسية كما حدث في العربية حين أصبحت لغة قريش هي الفصحى.

2- نهوض اللغويين والعلماء بوضع قواعد لضبط استعمالها ووضع معاجم لها بحيث يلتزم بها الناس.

3- مرحلة توسيع الوظائف حيث تستخدم في كل الوظائف المرتبطة بالدول كالمدارس والجامعات وفي الأغراض الكتابية أدبية وعلمية.

4- مرحلة المواضعة حيث يتفق جميع السكان على اتخاذ تلك النوعية لغة قومية لهم جميعا. كما حدث في تحول لهجة أهل باريس إلى الفرنسية.

❖ **التنوع اللغوي الناتج عن عوامل اجتماعية**

توصف اللهجة بأنها جغرافية أو محلية إذا استخدمها جماعة من الناس تقيم في منطقة جغرافية واحدة، وتوصف بأنها اجتماعية إذا استخدمها جماعة تنتمي إلى طبقة اجتماعية محددة.

❖ **العوامل التي تؤثر في نشأة اللهجات الاجتماعية:**

- الفروق الثقافية والتربوية ومناحي التفكير والوجدان.
- مستوى المعيشة وحياة الأسرة ما ترغب فيه وما ترغب عنه.

- جنس الشخص ذكرًا أو أنثى، وعمره، وما يزاوله من أعمال .. الخ.

❖ النظرة الوصفية للغة:

نظرة اللغويين المحدثين إلى هذا الموضوع أساسها أن اللغة المحلية لغة قائمة بذاتها، وليست أقل رقيا ولا منطقية من اللغة الفصحى.

ومن حيث الوظيفة تؤدي الفصحى وظائف لا تؤديها اللهجة المحلية، والعكس أيضا صحيح. فاللهجة المحلية هي اللغة التي يكتسبها الفرد من مجتمعه، وهي المعبر الأكبر لشؤن الحياة اليومية.

❖ اللغة المعيارية (الفصحى)

هي نوعية لغوية تحظى بمكانة متميزة في المجتمع على غيرها من النوعيات، وتتخذها الجماعة مقياسا لصحة الكلام.

أهم المبادئ في تحديد مفهوم اللغة المعيارية.

1- غالبا ما تكون اللغة المعيارية لغة الدولة التي تتعامل بها مع الدول الأخرى، وتفرض استعمالها في مؤسساتها الرسمية وهي لغة التعليم والعلم، وهي اللغة المشتركة للتفاهم بين مواطني العالم العربي.

2- تحظى اللغة المعيارية بمركز متميز في المجتمع، إذ يعدها المجتمع رمز هويته ومعبر ثقافته والجامع بين أفراده. ومن ثم فهي فوق كل النوعيات.

3- لها نظام كتابي ثابت، وقواعد تحكم بنيتها باطراد.

4- في الغالب أن السامع لا يستطيع أن يحكم على المنطقة التي ينتمي إليها المتكلم بها ومعنى ذلك أنها ذات كيان مستقل عن النوعيات الأخرى في المجتمع.

ومن أمثلتها المنطوقة نشرات الأخبار في الإذاعة الرسمية.

التنوع اللغوي الناتج عن الموضوع وطريقة الاتصال والأسلوب

❖ أبعاد الحدث اللغوي:

- وضع ها ليداي ثلاثة أبعاد يعتقد أنها تحدد الحدث اللغوي تحديدًا دقيقًا: المجال **field** النمط أو الوسيلة **mode** والحال **tenor**

- يتصل المجال بموضوع الحدث اللغوي وبهدف الاتصال؟ ماذا يقال؟ ولماذا؟

- قد يكون الموضوع مثلا عن رحلة صيد يزمع المتكلم القيام بها، وقد يكون غرضه من الحديث إغراء السامع بالاشتراك فيها.
- ويشير النمط إلى الوسيلة التي يتم بها الاتصال، وقد تكون الكتابة أو الحديث بمختلف أشكالها:- رسالة خطية أو مسجلة، إعلان في صحيفة أو على شاشة التليفزيون... بعبارة أخرى كيف يتم الاتصال.
- أما الحال فيعتمد على العلاقة بين المشتركين في الحدث اللغوي، قد يكون المتحدث صديقا للسامع، وقد يكون عالما يلقي خطبته في مسجد، قد يكون قاضيا يسأل سجينا، وقد يكون عاشقا ينقل مشاعره إلى محبوبته، بعبارة أخرى إلى من يوجه الحدث اللغوي وكيف يراه المتكلم.

<u>إسهامات علماء البلاغة العربية في مجال الأساليب والعوامل المؤثرة في اختيار أسلوب بعينه ومن ذلك:</u>

- إنهم عرفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، يعنون بذلك أن يجئ الكلام مطابقا للمقام أو الحال التي يكون عليها المخاطب.
- أنهم قد تنهوا إلى أن الكلام يتفاوت بتفاوت الأغراض، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية... الخ.
- أنهم وضعوا حدودا لما ينبغي أن يقال في الوقت المحدد. فالأمر مثلا يجئ في الأصل على سبيل الاستعلاء، بيد أنه يأتي لأغراض أخرى مراعاة لأحوال المخاطبين. فإذا كان من الأعلى إلى الأدنى يكون أمرا على الأصل أو تهديدا أو زجرا أو وعيدا، وإن كان من المساوي يكون التماسا أو سؤالا أو إباحة بحسب قرائن الأحوال، وإن كان من الأدنى للأعلى يكون رجاء أو دعاء أو تضرعا بحسب القرائن.

محاضرات – القسم الثاني
الوحدة الأولى

اتفق اللغويون والدارسون على أن هذا العلم يدرس اللغة دراسة علمية، بمعنى أنه يتخذ المنهج العلمي طريقة وأسلوبا يعالج به مسائل اللغة ويدرس به ظواهرها.

وقد تم الاتفاق على أبرز سمات المنهج العلمي، وهي: الوضوح والانتظام أو الثبات،

والموضوعية، فلا يمكن أن نطلق على أية دراسة أنها «علمية» إلا إذا تحققت فيها هذه الملامح أو السمات، ويستحسن توضيح هذه السمات بعض التوضيح.

1- الوضوح:

يراد منه وضوح الأسس والمبادئ التي تقوم عليها دراسة اللغة، ووضوح المصطلحات المستعملة في التحليل ووضوح الهدف من الدراسة؛ لأن الهدف من دراسة اللغة يوجه اللغوي نحو اختيار المنهج المناسب لتحقيق الهدف، كما سيتضح فيما بعد.

2- الانتظام أو الثبات:

ويراد منه تسلسل خطوات الدراسة بحيث تُسْلم كل خطوة إلى ما بعدها، كأن نبدأ بجمع المادة اللغوية التي يراد تحليلها، ثم نحدد طريقة التحليل ومنهجه ثم نلتزم بخطوات المنهج،... وهكذا حتى ننتهي من الدراسة واستخلاص النتائج.

3- الموضوعية:

ويراد منها أن يتخذ الدارس موقف الحياد بقدر المستطاع نحو الظاهرة المدروسة، ولا يتخذ موقفا معينا سابقا، أو يعتنق فكرة معينة يريد إثباتها.

وعليه كذلك أن يترك المادة المدروسة نفسها تكشف عن نتائجها، وأن يسجل هذه النتائج بدقة وصرامة.

إن الالتزام بالسمات السابقة مع استكمال عدة البحث والتحليل، بالإضافة إلى الخبرة والمهارة؛ كل ذلك كفيل بتحقيق صفة العلمية في دراسة اللغة، وتحقيق مفهوم (علم اللغة) الذي هو الدراسة العلمية للغة.

يبقى بيان مجموعة من النقاط تتصل بما سبق، وتزيد من توضيح مفهوم (علم اللغة) والكشف عن منهجه، نذكر منها ما يلي:

الأولى: الكلام عن الدراسة العلمية للغة، وظهورها مع مطلع القرن العشرين يصدق على الدراسات اللغوية في الغرب، لكنه لا يصدق على الدراسات اللغوية عند العرب القدماء أو الهنود؛ لأن

دراسات هاتين الأمنين كانت (علمية) إلى حد بعيد.

الثانية: لعل أول من حدد موضوع علم اللغة، وأخضعه لطريق الدراسة العلمية هو (فرديناند دي سوسير) الذي ذكر أن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة المدروسة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

فهذا التحديد ينص على المنهج (الدراسة العلمية) وعلى الموضوع (دراسة اللغة في ذاتها)، وعلى الهدف (دراستها من أجل ذاتها).

الثالثة: علم اللغة – بمفهومه الحديث – لا يدرس لغة معينة، وإنما يدرس اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية عامة؛ فيبدأ بتحليل أنظمتها المختلفة (صوتية وصرفية ونحوية ودلالية) وتحليل بنية هذه الأنظمة، كما يسعى إلى التعرف على كيفية أداء هذه الأنظمة وظائفها، وكيف تعمل اللغة في المجتمع، وعلاقتها بهذا المجتمع، ويحاول معرفة تغيرها أو تطورها، ومعرفة مستويات الأداء فيها (فصيح وعامي).

الرابع: يركز علم اللغة تركيزا واضحا على دراسة اللغات الحية بصفة عامة، والجانب المنطوق منها بصفة خاصة، مع عدم إهمال الجانب المكتوب منها، واللجوء إلى دراسته عند الضرورة، لكن التركيز كله يتجه إلى دراسة اللغات الحية المنطوقة.

بقي أن نوضح الهدف من (علم اللغة)، ذلك الهدف الذي يفهمه كثير من الناس فهما خاطئا.

تركز الدراسة العلمية للغة على تحقيق الفهم الصحيح للغة، وهذا أساس الهدف من علم اللغة الذي هو الوصول إلى حقيقة اللغة؛ لاستثمار هذا الوصول وهذا الفهم الصحيح في أمور كثيرة تتصل بوظائف اللغة ودورها في الحياة والمجتمع.

- **تحديد المصطلحات المستعملة في مجال دراسة اللغة:**

نحاول قراءة التراث – ولاسيما التراث اللغوي العربي – في محاولة للعثور على المصطلحات التي استعملت في مجال الدراسة اللغوية، تلك المصطلحات هي:

- **علم اللغة:**

استعمل عند العرب لدراسة مشكلات الثروة اللفظية وقضاياها، وأطلقه ابن خلدون على المعاجم، كالعين للخليل بن أحمد، والصحاح للجوهري، وأساس البلاغة للزمخشري، وفقه اللغة للثعالبي، يضاف

إلى هذه المعاجم كتب الألفاظ الفصيحة مثل كتاب الألفاظ لابن السكيت والفصيح لثعلب، وغير ذلك من المؤلفات التي تعني بالثروة اللفظية.

❖ **اللغة + متن اللغة:**

مصطلحان عربيان، استعملهما القدماء في نفس المعنى السابق الذي استعمل فيه مصطلح (علم اللغة)، أي أنهما يشيران إلى موضوع الثروة اللفظية، وما يتصل به من مسائل وقضايا.

❖ **العربية + علم العربية:**

مصطلحان عربيان كذلك استعملهما القدماء للدلالة على موضوع النحو، ومسائله وقضاياه.

❖ **فقه اللغة:**

نصل أخيرا إلى مصطلح (فقه اللغة) الذي استعمل كثيرا، وأثار تساؤلات كثيرة في العصر الحديث ومازال الدارسون يخلطون بينه وبين علم اللغة في الفهم والاستعمال.

لعل السبب في ذلك استعمال المصطلح – فقه اللغة – في التراث العربي قديما، وقد اختلطت موضوعات هذين الكتابين، وشملت مجالات كثيرة من (علم اللغة) و (فقه اللغة).

ومن أسباب الصعوبة والخلط كذلك كثرة استعمال المصطلح في العصر الحديث في الجامعات، وجعله عنوانا لكثير من الكتب والمؤلفات العلمية. ومن هذه الكتب: (فقه اللغة) للدكتور علي عبد الواحد وافي، و (مقدمة لدراسة فقه اللغة) للدكتور محمد أحمد أبو الفرج.

والسبب الأساسي في الصعوبة والخلط استعمال المصطلحين في أحيان كثيرة كما لو كانا مترادفين. وزادت الصعوبة عندما قدم كثير من الدارسين مصطلح فقه اللغة ترجمة للمصطلح الغرب Philology، ومن المعلوم أن الفيلولوجيا يختلف مفهومها وموضوعها في الفكر الغربي عن مفهوم علن اللغة وموضوعه.

لكل ما سبق وجب علينا استعراض مفهوم فقه اللغة في الفكر العربي، ومفهومه في الفكر الغربي حتى يتبين لنا التحديد الواضح والدقيق للمصطلحات.

نبدأ بالفكر العربي القديم، وأفضل طريقة هي الاطلاع على محتويات الكتب القديمة التي حملت عنوان (فقه اللغة) وأولها كتاب (ابن فارس) الذي عرض فيه مسائل عامة في حياة اللغة، ومسائل صوتية، ومسائل صرفية ومسائل نحوية ومسائل دلالية، ومسائل بلاغية وأسلوبية. وتدخل هذه المسائل كلها تحت ما يمكن تسميته (أصول اللغة) لأن الكتاب اهتم بالأمور والقواعد العامة دون

التعرض للفروع ومعنى ذلك أن هناك فرقا واضحا بين مفهوم (علم اللغة) في التراث، ومفهوم (فقه اللغة) لأن مفهوم علم اللغة أوسع من مفهوم فقه اللغة.

وهذه الموازنة بين مفهوم فقه اللغة وعلم اللغة إذا طبقناها على محتويات كتاب (الثعالبي) يتضح لنا أن مفهوم علم اللغة أوسع من مفهوم فقه اللغة قليلا؛ لأنهما يشتركان في دراسة الثروة اللفظي.

لكننا نلاحظ شيئا خاصا في موضوعات الكتابين السابقين، هو دوران هذه الموضوعات حول ما يمكن تسميته (أصول اللغة)، أي القوانين العامة والقضايا الأصلية التي تحكم اللغة.

إذا تركنا التراث العربي القديم إلى العصر الحديث وجدنا مصطلح (فقه اللغة) يستعمل في الجامعات المصرية والعربية بما يقارب مفهوم (علم اللغة) أحيانا، وبما يمثل جانبا أو منهجا من جوانب علم اللغة أو مناهجه أحيانا أخرى.

ويتضح ذلك عندما ننظر في أشهر مؤلَفيْن لعالم واحد هو الدكتور علي عبد الواحد وافي، والمؤلفان هما (فقه اللغة) و (علم اللغة) حيث عرض في (علم اللغة) موضوعات تدور حول فروع علم اللغة ومناهج البحث فيها وعلاقة علم اللغة بغيره من العلوم. وهذه كلها موضوعات تدخل في صميم (علم اللغة) بمفهومه الحديث الذي هو الدراسة العلمية للغة.

أما موضوعات كتاب (فقه اللغة) فيدور حول استعراض فصيلة اللغات السامية – الأكادية والآرامية والعبرية والحبشية، والفينيقية والعربية،...الخ – ثم الحديث بتفصيل أكثر عن اللغة العربية وتطورها.

وهذا الاستعراض يجعل (فقه اللغة) خاصا بما يسمى الدراسات اللغوية المقارنة، أو المنهج المقارن، وهو جزء صغير جدا من مجال البحث في علم اللغة، أي أن فقه اللغة أضيق بكثير جدا من علم اللغة.

أما العلماء الآخرون، ومنهم الدكتور المبارك والدكتور أبو الفرج والدكتور رمضان عبد التواب، فيستعملون (فقه اللغة) ويريدون منه أبحاثا وموضوعات من صميم علم اللغة، ويذكرون صراحة أن المراد من فقه اللغة: الدراسة العلمية للغة.

وإذا جئنا إلى الدراسات اللغوية المنطلقة من كلية دار العلوم، وبحسب مناهجها، وجدنا أن (فقه اللغة) يراد منه الكشف عن القوانين التي تحكم حياة اللغات بصفة عامة، واللغة العربية بصفة خاصة، وتطورها، ولهجاتها قديما وحديثا وعلاقتها باللغات السامية.

❖ فقه اللغة في الفكر الغربي:

نستعمل مصطلح (فقه اللغة) مقابلا وترجمة للمصطلح الغربي **Philology** الذي يعد أقدم في الاستعمال من المصطلح (علم اللغة) مقابلا وترجمة للمصطلح الإنجليزي **Linguistics** استعمل مصطلح (فيلولوجيا = فقه اللغة) في الدلالة على محاولة إحياء دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، ونقد نصوصهما القديمة بعد إحياء هذه النصوص، وشرحها شرحا لغويا وما يتصل بهذا الشرح من إشارات تاريخية وجغرافية وغيرهما.

ثم تطور المفهوم بعد القرن الثامن عشر واكتشاف القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية واللغتين اليونانية واللاتينية وأصبح يطلق على الدراسات المقارنة والتاريخية.

وتغير هذا المفهوم في بداية التدريس بالجامعة المصرية (جمعة القاهرة الآن). وتحديدا في عام 1926 عندما ذكر السنيور اغناطيوس جويدي أن كلمة **Philology** تصعب ترجمتها إلى العربية؛ لأن لها معنى في اللغات العربية خاصا لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب.

ولعل أقرب الآراء إلى ما نحن فيه أن هذا المصطلح يطلق على درس اللغة، ودراسة الحياة العقلية من جميع وجوهها ودراسة تاريخ اللغة، وتحقيق النصوص وغير ذلك من موضوعات توسع المفهوم جدا.

ونستخلص مما سبق أن (فقه اللغة) ترجمة للمصطلح الغربى (فيلولوجى) = Philology يعنى ما يأتى:

- تحقيق النصوص وشرحها وما يتطلبه ذلك من دراسة جوانب لغوية صرفية ونحوية ومعجمية.
- الدراسة المقارنة للغات.
- دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والآداب الخاصة باللغة المدروسة.

يرى بعض الغربيين وثاقة الصلة بين علم اللغة وفقه اللغة، ولا مانع من استعمالهما كما لو كانا مترادفين، أي بمعنى واحد غالبا.

والرأي عندنا أن نستعمل مصطلح (علم اللغة) في مفهوم الدراسة العلمية للغة مقابلا للمصطلح الإنجليزي **Linguistics**، ونستعمل مصطلح (فقه اللغة) في الدراسات اللغوية المتصلة باللغة العربية وحياتها وتاريخها ولهجاتها ومشكلاتها وقضاياها.

* * *

الوحدة الثانية
علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى

❖ تعقد الظاهرة اللغوية وتعدد جوانب البحث فيها:

لو أننا تتبعنا جهود الأمم السابقة في دراسة اللغة، وهذا ما سنفعله في الوحدة التالية – بعون الله وتوفيق – لوجدنا كثيرا من العلماء في القديم والحديث قد عالجوا موضوع اللغة بصورة أو بأخرى.

عالجها الفلاسفة والمناطقة منذ الإغريق والرومان حتى عصرنا الراهن، ودرسها النقاد والبلاغيون ورجال الدين ورجال القانون والسياسة.

ولماذا نذهب بعيدا ونترك حضارتنا العربية الإسلامية؟ من الملاحظ أن أسلافنا العرب والمسلمين قدموا دراسات لغوية آية في الإبداع والابتكار والسبق والشمول مع العمق والدقة واستمرار الصحة والصواب للآراء والنظريات التي قدموها حتى الآن.

ما نريد أن نقوله: إن تناول هؤلاء جميعا للظاهرة اللغوية ودراستهم جوانب متعددة من اللغة كان سببا في اتساع ميادين البحث اللغوي، وكان سببا في كثرة العلوم التي يلتقي معها علم اللغة.

ومما يتصل بالنقطة السابقة وكان سببا في اتساع دائرة البحث اللغوي وتوثيق العلاقة بين علم اللغة والعلوم الأخرى التعاون القديم الحديث بين التخصصات والاهتمامات العلمية.

أما السبب الأساسي في رأينا في تعلق كثير من العلوم بدراسة الظاهرة اللغوية، أو دراسة جانب منها فهو تعلق اللغة الإنسانية بكل مناحي الحياة العقلية والنفسية، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. الخ.

<u>**ومعنى ما سبق أن اللغة ظاهرة معقدة تتضمن الجوانب التالية، ولكل جانب علم أو أكثر يدرس هذا الجانب:**</u>

- اللغة ظاهرة اجتماعية تشغل بال علماء الاجتماع.
- اللغة ظاهرة نفسية تشغل بال علماء النفس.
- اللغة ظاهرة عقلية تشغل بال علماء المنطق والفلاسفة.
- اللغة وثيقة الصلة بالإنسان وطبيعته، تشغل بال علماء (الأنثروبولوجيا)، علماء الأجناس وعلماء الوراثة.

ونكتفي بالمستطاع، وهو التركيز على العلوم التي تتصل اتصالا وثيقا ومباشرا باللغة ودراستها، تلك العلوم هي:

1- علم اللغة الاجتماعي:

اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه، ولا يوجد مجتمع بدون لغة تربط بين أعضائه، وتساعدهم في حياتهم: وتتأثر اللغة بالمجتمع في نشأتها ونموها وانقراضها، وغير ذلك من ظواهر حياتها من رقي أو انحطاط، وتوحد أو انقسام... الخ.

وقد خصص العلماء فرعا من فروع البحث اللغوي سموه (علم اللغة الاجتماعي) يدرس الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، ويدرس الطريقة التي تتغير بها بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، والتعريف بحقيقة هذه الوظائف، كما يدرس اللهجات الاجتماعية، والازدواج اللغوي والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع.

2- علم اللغة النفسي:

عندما حاول اللغويون تحقيق صفة (العلمية) على دراسة اللغة ركزوا جهودهم على النظام الصوتي الذي يصدر عن المتحدث الفرد في الموقف المعين، وكانوا يسجلون الكلام الصادر عن هذا الفرد على شريط كاست أو قرص مدمج لتتم دراسته وتحليله في المعمل.

لكن هؤلاء اللغويين واجهتهم مشكلات لا حل لها إلا في ذهن المتكلم نفسه:

- ماذا يريد بالضبط؟ وما المعنى الذي يقصده؟ وما الدافع إلى ذلك؟
- كيف يكتسب الطفل لغته؟ وكيف يختزن ألفاظه ويربط بينها وبين معانيها؟ وكيف يتم استحضارها؟
- كيف يعبر عما يريد؟ وما العمليات التي يمر بها حتى يخرج الكلام من فمه؟
- أسئلة أخرى كثيرة تتصل بالسامع وطريقة استقباله للحدث الكلامي، وفهمه له والتأثر به.
- هذه الأسئلة وكثير غيرها جعل فريقا من العلماء يدرسون هذا الجانب في إطار علم مستقل يسمى علم اللغة النفسي، فأخضعوا النشاط العقلي أثناء عملية الكلام للدراسة التجريبية، وما زالوا يحاولون توظيف ذلك كله في كثير من التطبيقات كتعليم اللغات، وعيوب النطق وأسبابه وكيفية علاجه،.. الخ.

3- علم اللغة الجغرافي:

<u>تتضح أهمية هذا العلم من إدراكنا لكثير من الحقائق التي لاحظها الإنسان خلا رحلته الطويلة مع اللغة، ومن هذه الحقائق ما يلي:</u>

- **ارتباط بعض الاستعمالات اللغوية في داخل اللغة الواحدة ببعض الأماكن دون بعض، ويظهر ذلك فيما يسمى اللهجات الجغرافية، كاللهجات العراقية والخليجية والمصرية والمغربية في إطار اللغة العربية.**
- **اختلاف اللغات المستعملة في العالم من حيث المساحة والتوزيع الجغرافي، وعلاقتها ببعضها، مثل حالة سويسرا، وحالة شرق العراق وشماله، وغيرهما.**
- **التواصل البشري بين الشعوب وتزايد هذا الاتصال بعد أن أصبح العالم كله قرية واحدة.**
- **لكل ما سبق نشأ ما سُمِّي علم اللغة الجغرافي الذي يدرس تلك الموضوعات وما يتعلق بها من مسائل وقضايا.**

4- علم اللغة السياسي:

ترتبط اللغة بالسياسة ارتباطا وثيقا، فتتأثر اللغة بالسياسة، وتتأثر السياسة باللغة، لأن وحدة اللغة تؤدي إلى وحدة الأمة سياسيا، كما أن اللغة أهم مقوم من مقومات القومية، وكثير من الحدود توضع على أساس لغوي.

وقد أدت ثورة الاتصال والسمات المفتوحة إلى تقريب المسافات وتذويب الحواجز بين البشر.

ويرتبط تحقيق المصالح السياسية، وتحقيق السلام العالمي بالجانب اللغوي. ومن المعروف أن كثيرا من الحروب، والاتفاقات الدولية مبني على الجانب اللغوي.

ولا شك في أننا نحن العرب محتاجون هذه الأيام إلى خريطة لغوية توضح لنا أمورا كثيرة عن الشعوب التي نتعامل معها؛ لأننا نجهل كثيرا منها ثقافة وفكرا وطباعا وسلوكا وحضارة. كما أن هذه الشعوب تجهل عنا أمورًا كثيرة. وهذا كله يتعلق به علم اللغة السياسي.

ونحن محتاجون كذلك إلى معرفة لهجاتنا وتوزيعها والفروق الواضحة بينها، وتسببها في تفككنا وتشرذمنا؛ حتى نتوحد، ونرأب صدعنا، ونصون حقنا في البقاء بين شعوب العالم. ويتعلق بذلك علم اللغة السياسي يعاونه علم اللغة الجغرافي، ويساعدهما التخطيط اللغوي.

5- علم اللغة الأنثروبولوجي:

هو العلم الذي يدرس علاقة اللغة بالمجتمعات والثقافات الإنسانية، وتاريخها وتتابع نموها وتطورها أي أنه يعتم بالعلاقات المختلفة القائمة بين لغة شعب من الشعوب وجوانب ثقافيه منها الكيفية التي تربط بين لغة جماعة ما ومكانة تلك الجماعة ووضعها الاجتماعي.

ومنها ارتباط اللغة بالشعائر والاحتفالات الدينية، وغيرها.

ومنها دور اللغة في نقل العادات والمعتقدات والمثل العليا إلى الأجيال التالية.

ومنها الطريقة التي تعكس بها اللغة ثقافة المجتمع الذي يستخدمها.

وجدلية العلاقة بين اللغة والثقافة – بمعناها الانثروبولوجي الواسع – تحتاج إلى مجلدات ضخمة لا يتسع لها هذا المقام.

5- علم اللغة الإثني، أو العرقي:

لم يعرض له كثير من اللغويين، وعرض له بعضهم في إطار علم اللغة الاجتماعي بوصفه يدرس ظاهرة اجتماعية، مثلما عرضوا لعلم اللغة الأنثروبولوجي كذلك، ولكننا نعرض له علما مستقلا؛ لأهميته واتساع البحث فيه ولتعلقه بموضوع يشغلنا في هذه الأيام ويكاد يهدد حياتنا ووحدتنا، ذلك الموضوع هو ما يسمى الأقليات العرقية واللغوية كالأكراد في العراق وسوريا والآسيويين في دول الخليج العربي والنوبيين في مصر والسودان والأمازيغ في ليبيا والجزائر والمغرب.

المهم أن هذا العلم يدرس العلاقات اللغوية التي يمثلها في مستوى واقعي النتائج اللغوية للهجرة، ومشكلات الجماعات العرقية، ودراسة الخواص اللغوية المميزة للإنجليزية التي يستخدمها الزنوج والهنود الحمر واليهود، وغيرهم من الجماعات العرقية في الولايات المتحدة الأمريكية.

7- علم الأسلوب:

يرى بعض اللغويين أن علم الأسلوب يهدف إلى تطبيق الطرق الفنية لعلم اللغة في دراسة أنواع خاصة من الاستعمالات اللغوية من ناحية صلتها بمجتمع لغوي معين له طبيعة خاصة، مثل دراسة لغة العلم، أو القانون، أو الفن، أو الأدب.

وهناك فهم خاص لدى بعض الدارسين للأدب يربط الأسلوب بتحليل السمات الخاصة أو الملامح المميزة للأديب أو الكاتب المعين.

وبعض الدارسين – ولهم الحق – يوسع دائرة علم الأسلوب فيجعله يدرس جميع التنوعات

اللغوية الناشئة عن الفروق الفردية داخل الجماعة اللغوية، تلك التنوعات التي لا ترجع إلى اختلاف اللهجات الجغرافية، ولا ترجع إلى اختلاف اللهجات الاجتماعية.

من المعروف أن أفراد الجماعة اللغوية الواحدة لا يتكلمون على وتيرة واحدة، بل نجد بينهم فروقا في الأصوات أو في اختيار الكلمات أو في بناء الجمل،... الخ. وهذا التنوع هو الذي يسوغ الحديث عن السلوك اللغوي الفردي باعتباره سمة من سمات الشخصية وعلامة فارقة بين الناس، وهذه الدراسة يتولاها علم الأسلوب.

8- علم اللغة التطبيقي:

إذا كانت العلاقة بين علم اللغة والعلوم السابقة كلها غير واضحة نوعا ما في أذهان بعض الدارسين فإن علاقة علم اللغة التطبيقي بعلم اللغة العام أو النظري من الوضوح والقوة والمتانة لدرجة لا تحتاج إلى إشارة أو تنويه؛ فعلم اللغة التطبيقي هو الواجهة الأخرى لعلم اللغة العام فأحدهما يمثل الجانب النظري والآخر يمثل الجانب التطبيقي.

وسوف يتضح هذا الفهم لطبيعة هذا العلم وحقيقته من الحديث عن مجالاته وفروعه التطبيقية التي نعرض لأهمها فيما يلي:

أ- تعليم اللغات القومية:

قد يظن بعضنا أن لغتنا القومية لا تحتاج إلى برنامج تعليمي منهجي؛ لأننا نتعلمها ونحن أطفال صغار من أفواه أمهاتنا وآبائنا والمحيطين بنا. وهذا حق، ومسلّم به، لكننا نغفل نقاطًا مهمة في مقدمتها أننا لو تركنا جميع الأطفال يتلقون اللغات القومية من المحيطين بهم، وتركناهم يستعملونها بدون ضابط لانقسمت اللغات وتعددت بتعدد متعلميها ومستعمليها ووصلنا إلى مجموعات من البشر داخل الجماعات الواحدة لا يتفاهمون ولا يتواصلون.

أسهم علم اللغة في مجال تعليم اللغات القومية في إعطاء التربويين كثيرا من الأمور التي تساعدهم في عملهم.

ب- تعليم اللغات الأجنبية:

ظهرت في العصر الراهن ضرورات كثيرة تدعو إلى تعلم اللغات الأجنبية، ساعد على ذلك التقدم الهائل في وسائل الاتصال وتبادل المصالح وتطور البحث العلمي وكثرة القنوات التليفزيونية وتنوعها،

ومعظمها يبث برامجه باللغات الأجنبية. وهذا كله أدى إلىتعاظم أهمية تعلم اللغات الأجنبية وإتقان بعضها.

قدم علم اللغة خدمات جليلة لمعلم اللغات الأجنبية تفوق ما قدمه لمعلم اللغة القومية، ولعل أهم ما قدمه علم اللغة هنا هو فرز الطرق التعليمية وبيان ميزات كل طريقة وعيوبها، ومن ثم وجب علينا التعريف بأهم هذه الطرق فيما يلي:

1- طريقة القواعد والترجمة:

وقد تسمى الطريقة التقليدية، أو القديمة؛ لأنها أقدم طريقة عفتها البشرية، واكتسبت تقليديتها من ذلك التاريخ الطويل في الممارسة والهيمنة، وأهم ما يميز هذه الطريقة ما يلي:

- تعتمد أساسا على اللغة المكتوبة؛ لأنها تمثل النموذج اللغوي الصحيح في نظر القدماء أصحاب هذه الطريقة، وذلك لتمثيل هذه اللغة المكتوبة المستوى الفصيح البليغ.
- تحاول أن تجعل الدارس يتعلم قواعد اللغة الأجنبية عن طريق دراسة هذه القواعد وحفظها من خلال نماذج نمطية ثابتة تمثل الصحة اللغوية في المستوى الفصيح.
- تهدف هذه الطريقة إلى تدريب الدارسين على قراءة النصوص وترجمتها إلى اللغة القومية. ويقتضي ذلك حفظ كلمات وتراكيب كثيرة تساعد في الفهم والترجمة.

ويقتضي ذلك حفظ كلمات وتراكيب كثيرة تساعد في الفهم والترجمة.

إذن يتحدد الهدف من هذه الطريقة أن يلم الدارس بقواعد اللغة الأجنبية المارد تعلمها، وإتقان الترجمة منها وإليها.

ولعل ذلك يفسر ارتباط هذه الطريقة بإتقان اللغة الفصحى واعتمادها على المنهج المعياري.

2- الطريقة المباشرة:

ظهرت هذه الطريقة في العصر الحديث في بداية القرن العشرين ومن ملامحها ما يلي:

- اكتساب اللغة الأجنبية بنفس الطريقة التي يتم بها اكتساب اللغة القومية، أي يتم ذلك عن طريق التلقي المباشر، فيذهب الدارس إلى أصحاب اللغة الأجنبية ويتلقى عنهم اللغة بطريقة مباشرة.
- وجوب تعرض الدارس لجرعة هائلة من الكلام بطرية عفوية يلتقط من خلالها قواعد اللغة

الأجنبية وتراكيبها وأساليبها ومعاني مفرداتها بطريقة مباشرة.

ويلاحظ على هذه الطريقة أنها تفيد الدارسين الذين يريدون استعمال اللغات الأجنبية في مجال الحياة العادية وليس في مجال العالم أو التراث. أي أن هذه الطريقة تسهم في إتقان اللغات الأجنبية للنشاط السياحي مثلا، أو النشاط الاقتصادي والاستيراد والتصدير.

3- الطريقة الانتقائية:

تعتمد هذه الطريقة على ما يمكن تسميته (التعليم الموجَّه) حيث نتوجه بالتدريس وتعليم اللغة الأجنبية إلى طائفة معينة فنختار لهم المادة التعليمية وفق المبادئ الآتية:

- **اختيار مجموعة خاصة من الكلمات والمفردات الأكثر شيوعا في المجال المراد تعلمه.**
- **التركيز على مهارة القراءة والنطق بصفة أساسية دون إهمال المهارات الأخرى.**

4- الطريقة السمعية الشفوية:

لعلها أحدث طريقة في تعليم اللغات الأجنبية، وقد احتلت مكانة عظيمة في أنحاء العالم بسبب النتائج التي حققتها. وهي تعتمد على الأسس التالية:

- **الجانب المنطوق للغة هو الأساس في التعليم.**
- **اللغة مجموعة من العادات المكتسبة.**
- **لغة الحياة اليومية هي الأساس في التعليم والاكتساب.**

ج- علاج أمراض الكلام:

يعد علاج أمراض الكلام أحد الميادين الثلاثة التي يهتم بها علم اللغة النفسي، ويقدم فيها جهوده ونتائج بحوثه وهذه الميادين الثلاثة هي: النمو اللغوي الطبيعي، واضطرابات النطق، والأمراض الكلامية.

وسوف نعرض هنا لعلاج أمراض الكلام لأنه أكثر الميادين التصاقا بعلم اللغة التطبيقي.

وبعيدا عن تفصيلات كثيرة حول موضوع أمراض الكلام فالذي يهمنا هو ماذا يقدم علم اللغة التطبيقي في هذا الشأن؟

يقدم لنا وعيا بالنظريات اللغوية وأثرها في إدراك الاضطرابات مع الاستعانة بعلماء النفس ووظائف الأعضاء ورجال التربية حتى نتغلب على هذه المشكلات.

د- صناعة المعاجم:

يسهم علم اللغة التطبيقي في صناعة المعاجم وفق أسس علمية صحيحة اعتمادا على ما يقدمه علم اللغة بصفة عامة، وعلم المعجم بصفة خاصة.

يعني علم المعجم بدراسة مفردات اللغة ومعانيها في لغة واحدة، أو في لغتين فأكثر، وينظر إلى هذه المفردات من حيث اشتقاقها وأبنيتها ودلالاتها وكل ما يتعلق بالثروة اللفظية من قضايا ومشكلات.

تعتمد صناعة المعاجم على الأسس النظرية السابقة ويضاف إليها ما يتصل بالصناعة وإخراج المعاجم، تلك التي تتضح في الخطوات التالية:

- الأخذ في الاعتبار أننا في مجال (صناعة) أو (فن) وليس علما، نحن في مجال عملي ميداني محكوم بعوامل بعضها تجاري، وبعضها (ذوقي) يتحكم فيه رغبة الناس وحاجاتهم أكثر مما يتحكم فيه رأي العلماء ودراساتهم اللغوية.
- جمع المادة المعجمية اللازمة لصناعة المعجم، وهي الكلمات ومعانيها وسياقاتها المختلفة والشواهد الدالة على ذلك كله.
- اختيار المداخل المعجمية وترتيبها طبقا لنظام معين الترتيب. ثم ترتيب الألفاظ ومعانيها وشواهد داخل كل مدخل.
- اختيار الطريقة المناسبة لكل كلمة من طرق الشرح المعروفة في مجال تأليف المعاجم.
- كتابة المواد وشروحها وتسجيلها ثم نشر ذلك كله في شكلها النهائي للمعجم.
- طبعا لا ننسى اختيار نوع المعجم وحجمه والهدف منه.

هـ- الترجمة والترجمة الآلية:

يسمى العصر الحاضر عصر المعلومات المتنوعة تنوعا ضخما، ويسمى عصر القنوات الفضائية وثورة الاتصالات، والقرية الذكية إلى آخر هذه الألقاب التي تأخذ صبغة (الإعلام) و (الإعلان).

❖ ما دور علم اللغة في هذا المجال؟

الترجمة تعني استبدال لغة بلغة للتعبير عن نفس المعاني، ويتطلب ذلك إلمام المترجم بمفردات

اللغة التي يترجم منها، وإلمامه بقواعدها. ولا شك في أن هذا أمر على جانب كبير من الصعوبة ومع ذلك فبعضنا يتعلم لغات أجنبية ويجيدها إجادة تامة والسبب في ذلك أنه تعلم قواعدها وتدرب عليها شيئا شيئا حتى وصل إلى درجة من الإتقان تقارب إتقان لغته القومية وهذا معناه أن الشخص قد استوعب تماما قواعد هذه اللغة حتى تأصلت وترسخت في المخ بحيث يتكلم بطلاقة دون أن يفكر فيها.

هذا عن الترجمة العادية، أما الترجمة الآلية فالحديث عنها يبدأ بالسؤال: هل يمكن للآلة أن تقوم بهذا العمل الذي يقوم به المترجم الإنسان إذا ما تم ابتكار وسيلة تجعل من الممكن تغذيتها بالمفردات ومعانيها وبالقواعد الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية مهما بلغت دقتها؟

أجاب العلماء على السؤال السابق بالإيجاب على الرغم من المشكلات الكثيرة التي تواجه الآلة في هذا المقام، ومنها:

- المترجم له لغة قومية ينقل مها وإليها، والآلة ليس لها ذلك.
- المترجم يختار وينتقي من حصيلته اللغوية أقرب الألفاظ والعبارات إلى المعنى والآلة ليس لها ذلك.
- عند تعدد المعنى للكلمة الواحدة يستخرج المترجم المعنى الملائم بحسب السياق والآلة لا تفعل ذلك.

قدم العلماء تقسيمات كثيرة بعضها ثنائي، وبعضها ثلاثي، أو رباعي، أو خماسي، ولا مانع من ارتضاء أشهر هذه التقسيمات لقربه من طبيعة اللغة وإمكان التحليل والدراسة.

* وسوف نعرض لهذين الموضوعين – العلوم والمناهج – فيما يأتي...

أولا – علو اللغة ومستويات التحليل:

<u>نختار التقسيم المشهور الذي ارتضاه كثير من العلماء والدارسين، وهو المناسب للتحليل والملائم لطبيعة أنظمة اللغة وطريقة عملها. يتضح هذا التقسيم فيما يلي:</u>

1- علم الأصوات:

وهو المتعلق بدراسة أصوات اللغة، سواء على المستوى اللغوي العام المتعلق باللغة الإنسانية بصفة عامة، أو على المستوى اللغوي الخاص بكل لغة على حدة.

ويدرس هذا المستوى علمان كبيران، هما: علم الأصوات العام، وعلم الأصوات الوظيفي.

أ- علم الأصوات العالم Phoneyies:

يدرس هذا العلم الأصوات اللغوية من ناحية خصائصها النطقية دون ربطها باستعمال لغة معينة، أي بدون النظر إلى وظائف الأصوات في لغة من اللغات، فيدرس عملية الهمس والجهر، والتفخيم والترقيق، ومخارج الأصوات.. الخ دون ربط تلك الصفات بالاستعمالات الخاصة بكل لغة.

ب- علم الأصوات الوظيفي Phonology:

ويدرس هذا العلم الأصوات اللغوية الخاصة بكل لغة على حدة، كما يدرس وظائف هذه الأصوات في اللغة المدروسة وما تقوم به من التفريق بين معاني الكلمات، ويدرس كذلك النظام المقطعي الخاص بكل لغة وتوزيعات النبر وأنماط التنغيم فيها.

2- علم الصرف Morphologu:

يدرس الكلمات وأجزاء الكلمات في لغة معينة، ووظائف الكلمات في هذه اللغة، فيدرس الاشتقاق والجذور واللواصق (السوابق واللواحق والأواسط) والتغير الداخلي.

كما يدرس الأقسام العامة للكلمات (أسماء وأفعال وأدوات) والمشتقات والنسب والتصغير، إلى غير ذلك مما يتصل بالكلمات وأجزاء الكلمات.

3- علم النحو syntax:

ويدرس الجمل وأجزاء الجمل، فيبحث تركيبها، وتنظيم الكلمات فيها واختيار الكلمات المناسبة لكل موقع وعلاقة الكلمات في داخل الجملة بعضها ببعض ومظاهر المطابقة والانسجام بين هذه الكلمات من حيث العدد (المفرد والمثنى والجمع) والجنس (التذكير والتأنيث) والتعيين (التعريف والتنكير)... الخ.

وأخيرا يدرس ظاهرة الإعراب في اللغات التي تميز به، مثل اللغة العربية التي تطبق الإعراب بوصفه نظاما كاملا.

4- علم الدلالة Semantics:

ويهتم بدراسة المعنى المستفاد من اللغة سواء من مفرداتها وكلماتها، أو من تراكيبها واستعمالاتها في المواقف الحياتية المعينة؛ ولذلك يحلو لكثير من اللغويين أن يقسموه إلى قسمين أو ثلاثة أقسام، أو علوم تتضح فيما يلي:

أ- علم المعجم أو المفردات Lexicology:

وهو يدرس ويبحث في مفردات اللغة، ناظرا إليها من حيث الاشتقاق والأبنية والدلالات المعجمية لهذه الكلمات، كما يدرس معها ما يسمى التعبيرات الاصطلاحية والحقيقة والمجاز والترادف والمشترك اللفظي والتضاد، وتطور دلالات هذه الألفاظ، وكل ما يتعلق بالثروة اللفظية.

ب- علم المعنى أو الدلالة Semantics:

ويدرس دلالة المفردات، ودلالة التراكيب في لغة معينة مركزا على ما يمكن تسميته (الدلالة الثابتة) المسجلة في كتب اللغة، والمتفق عليها في أذهان أصحاب هذه اللغة، مثل دلالة لفظ (الأسد) على الحيوان المعروف، ودلالة أسلوب الاستفهام على طلب العلم بشيء مجهول في ذهن السائل.

ج- علم التخاطب والاستعمال أو التداولية Pragmatics:

ويدرس دلالة الاستعمال اللغوي في المواقف الحية أو المقامات السياقية الاجتماعية، مثل دلالة لفظ (الأسد) على الرجل الشجاع في استعمال، ودلالته على الحيوان المعروف في استعمال آخر. ومثل دلالة الاستفهام على طلب العلم بشيء مجهول في استعمال، ودلالته على السخرية، أو الإعجاب، أو التعظيم، أو التهوين.. الخ في استعمالات ومواقف أخرى.

ثانيًا – مناهج البحث في علم اللغة:

ظهر التحديد الواضح والحاسم بين مناهج البحث في علم اللغة على يد اللغوي الرائد (فرديناند دي سوسير) الذي فَصَلَ فصلا قاطعا بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية للغة.

❖ المنهج المعياري Normative Method:

يقوم هذا المنهج على اختيار نمط من الأداء اللغوي، أو نموذج من نماذج الاستعمال الذي يكون فصيحا راقيا في الغالب، وتستخلص مادته وأمثلته من اللغة الأدبية والخطب الرسمية.

وتتم دراسة هذه النماذج بعناية وتدقيق بهدف استخلاص القواعد التي ينبغي السير عليها، واعتمادها في الاستعمال، والرجوع إليها في الحكم بالصواب أو الخطأ.

ويعتمد القول بالصواب أو الخطأ على أساس القواعد والمعايير المستنبطة من النصوص النموذجية المختارة للدراسة، فما وافق هذه القواعد والمعايير كان صوابًا، ومما خالفها كان خطأً، ولذلك سُميَّ (المنهج المعياري).

وتتلخص فكرته وطبيعته في انطلاقه مما ينبغي أن يقال، وليس مما يقال بالفعل، أي اعتماد مبدأ (قُلْ كذا.. ولا تقل كذا..).

نفهم مما سبق أن المنهج المعياري يقوم على النظر إل اللغة بوصفها ظاهرة جامدة، ويعني ذلك أن قواعدها المستخلصة لا تتغير، وأن المعياريين ينكرون التغير اللغوي، ويؤمنون بثبات اللغة، ويرون أن أي تغير في اللغة يعد فسادًا وتجب مقاومته، والتصدي له بالتصحيح.

❖ المنهج الوصفي:

وهو المنهج الذي يقوم على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية الموجودة بالفعل، ووصف واقع اللغة وصفا علميا موضوعيا يركز على مستوى معين من الأداء اللغوي في مكان محدد وزمان محدد، بهدف وصف اللغة المدروسة وتتلخص ملامح هذا المنهج في ثلاثة أسس، هي:

1- وحدة المكان:

يفرض الوصفيون تحديد المكان الذي تستعمل فيه اللغة المراد دراستها دراسة وصفية.

2- وحدة الزمان:

أوجب الوصفيون على دارس اللغة بحسب منهجهم أن يحدد الفترة الزمانية للغة التي يريد دراستها، بحيث لا تتسع أو تطول فيكون للظاهرة المدروسة أمثلة مختلفة متغيرة باختلاف الزمان فيضطرب التحليل وتختلف النتائج لأن اللغة تتغير بتغير الزمان.

3- وحدة المستوى اللغوي:

نقصد بالمستوى اللغوي هنا مستوى الأداء والاستعمال فالملاحظ أن أداء الشاعر يختلف – قليلا

أو كثيرا – عن أداء الناثر، وأداء الملتزم باستعمال المستوى الفصيح يختلف عن أداء الذي يستعمل اللهجة العامية.

❖ المنهج التاريخي:

يهتم المنهج التاريخي بدراسة اللغة في فترتين زمنيتين مختلفتين فأكثر. وقلنا: (مختلفتين) لكي نضمن حدوث تغيرات لغوية بين الفترتين تسمح برصدها وملاحظتها ودراستها.

ومعنى ذلك أن المنهج التاريخي مهتم برصد التغيرات التي تصيب الظواهر اللغوية في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وتسجيل هذه التغيرات والموازنة بين التغيرات الحادثة في الفترتين لمعرفة أمور كثيرة تتصل بحياة اللغة المدروسة، واتجاهات التغير فيها، وأسباب هذا التغير، واستشراف حياة هذه اللغة في المستقبل.

نستخلص مما سبق ملامح المنهج التاريخي وأسس البحث فيه، وهي:

- وحدة المستوى المدروس: فلا يخلط الدارس بين لغة الشعر ولغة النثر، أو بين المستوى الفصيح والمستوى العامي.
- وحدة المكان: فلا يخلط الدارس بين استعمالات لغوية مأخوذة من بيئتين مكانيتين مختلفتين.
- تعدد الزمان: إذ ينبغي على الدارس اختيار فترتين زمنيتين مختلفتين فأكثر، ويدرس اللغة فيهما حتى يلاحظ التغيرات التي أصابت اللغة.

كما نفهم أن المنهج التاريخي يعتمد على المهج الوصفي، ولا يعتمد المنهج الوصفي على التاريخي.

المنهج المقارن:

ينطلق هذا المنهج من فكرة القرابة اللغوية بين مجموعة من اللغات ثبت بعد ذلك أنها تمثل أسرة أو عائلة واحدة، مع الأخذ في الاعتبار أن فكرة القرابة اللغوية تعني وجود أوجه اتفاق وأوجه اختلاف بين لغات هذه الفصيلة.

❖ ويمكن استخلاص أسس هذا المنهج وعرضها فيما يأتي:

- وحدة الفصيلة أو العائلة اللغوية.
- الاستعانة بالمنهج التاريخي.

ويعني ما سبق كله وضوح العلاقة بين المنهج التاريخي والمنهج المقارن، وهناك من يذهب إلى أن الدراسة المقارنة جزء من الدراسة التاريخية، لكن الفرق بينهما يظهر في تركيز المنهج التاريخي على تتبع التغيرات في لغة واحدة ودراسة تاريخها، وتركيز المنهج المقارن على تتبع لغتين فأكثر من نفس الفصيلة، مع ملاحظة الهدف الخاص بكل منهج، فالتاريخي يرصد التغيرات التاريخية، والمقارن يرصد مظاهر القرابات اللغوية.

❖ المنهج التقابلي Contrastive Method:

يعتمد على دراسة لغتين فأكثر تنتمي كل منها إلى فصيلة لغوية مختلفة، كأن ندرس ظاهرة معينة في اللغة العربية (من الفصيلة السامية) واللغة الإنجليزية (من الفصيلة الهندو أوربية)، وذلك بهدف معرفة مواطن الاتفاق ومواضع الاختلاف في الظواهر المدروسة فيتم التركيز على مواضع الاختلاف عند تعليم اللغات الأجنبية لأنه يتوقع أنها تمثل صعوبات حقيقية لدى الدارسين عند تعليم اللغات الأجنبية.

إذن تقوم الدراسة التقابلية على مجموعة من الأسس تتضح فيما يلي:

- اعتماد الدراسة على ظواهر من لغات مختلفة الفصائل اللغوية وهذا فارق جوهري بين المنهج التقابلي والمنهج المقارن.
- تحديد المستوى اللغوي المدروس، كالفصيح أو العامي، أو اللغة العلمية أو الفنية... الخ.
- البدء بالدراسة الوصفية للظاهرة في كل لغة على حدة ثم نقابل بين اللغتين.
- الكشف عن مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف مع التركيز على مواطن الاختلاف لتوقع الخطأ فيها لدى الدارسين.

الوحدة الرابعة
تاريخ الدرس اللغوي
المرحلة القديمة والوسطى

تبدأ هذه المرحلة مع الإنسان الأول، وتنتهي بنهاية العصر الروماني بيد أننا نضم إليها المرحلة الوسطى التي استغرقت حوالي ألف عام حتى بداية عصر النهضة في أوربا.

❖ فترة التفكير اللغوي غير المنظم:

❖ تشمل التفكير اللغوي عند الأمم الآتية:

❖ *** عند المصريين القدماء:**

ورد إلينا عنهم محاولات في التفكير اللغوي، منها محاولة (بسامتيشوس) معرفة أقدم لغة ظهرت مستعملة على الأرض، ومنها معرفتهم نظما للكتابة، الأمر الذي يشير إلى انتباههم إلى الجانب الصوتي في لغتهم القديمة.

❖ *** عند السومريين والأكاديين:**

يتجلى التفكير اللغوي عندهم فيما خلفوه منظم للخط والكتابة فيما عرف عند المؤرخين بالخط المسماري، وقد استعملوه في الألف الرابع قبل الميلاد.

وقد ألف الأكاديون بعض المعاجم أحادية اللغة أو ثنائية اللغة أشار الدارسون إلى بقايا أو نماذج منها، ومن ثم كان لديهم تفكير صوتي وتفكير معجمي دلالي.

❖ *** عند الصينيين القدماء:**

وردت عنهم إشارات تدل على تفكيرهم في نشأة اللغة وما إذا كانت من صنع الطبيعة أو من صنع الإنسان الذي استعملها واصطلح عليها، وفكروا – تبعا لذلك – في العلاقة بين الكلمات ومعانيها، وكانوا يميلون إلى كون العلاقة اصطلاحية وليست طبيعية.

ومن المعلوم أنهم اخترعوا نظاما كتابيا يشبه نظام الكتابة المصرية القديمة في الجانب (التصويري) منه، والجانب (المقطعي) كذلك.

وورد عنهم كذلك نشاط معجمي، ويذكر بعض العلماء أن هناك معجما ضخما ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد، وآخر في القرن الأول قبل الميلاد.

❖ *** عند الفينيقيين:**

ينسب إليهم أنهم أول أمة طورت الكتابة التصويرية والكتابة المقطعية إلى الكتابة الهجائية الصوتية، وذلك في اقرن الخامس عشر قبل الميلاد.

ويعد صنيعهم هذا عملا لغويا من الطراز الأول أدى إلى ازدهار الكتابة وتطور الحضارة في كثير من البلاد التي أخذت عنهم هذا النظام. ويتضح هذا العمل اللغوي في الجانب الصوتي لإدراكهم قيمة كل صوت، ووضعهم رمزا كتابيا لكل صوت.

❖ **فترة التفكير اللغوي المنظم:**

وتشمل التفكير اللغوي عند الهنود واليونان والرومان.

1- التفكير اللغوي عند الهنود:

درس الهنود لغتهم السنسكريتية، ولاسيما نصوصها المقدسة تلك النصوص التي كتبت بها (الفيدا) وهي تمثل الكتاب المقدس في العقائد البراهمية الهندية.

إذن كان السبب المباشر عند الهنود في نشأة التفكير اللغوي هو الجانب الديني المتمثل في الخوف على نصوص (الفيدا) من اللحن، والتحريف في النطق؛ فاهتموا بالدراسات الصوتية والصرفية والنحوية التي تعصمهم من اللحن والتحريف.

أ- الجانب الصوتي:

ازدهرت الدراسات الصوتية عند الهنود، فعالجوا أصوات لغتهم من حيث الهمس والجهر، = (لاحظوا أثر التجويف المنجري في إحداث عمليتي الهمس والجهر).

كما عرضوا لتقسيم الأصوات من حيث مرور الهواء، فقسموها إلى حركات (علل، أو أصوات علة) وصوامت (أصوات صحيحة) وقسموا الحركات إلى حركات خالصة أو صريحة.

وقسموا الصوامت إلى السواكن الانحباسية أي الشديدة أو الانفجارية، والاحتكاكية أو الرخوة، وسواكن الصفير أو الاحتكاكية الصفيرية، كالسين والشين.

وقسموا الأصوات ورتبوها بحسب المخارج وأعضاء النطق وبدأوا بأعمقها مخرجا حتى وصلوا إلى الشفتين.

وتحدثوا عن المقطع الصوتي، والنبر والغنة والأنفية.

ب- الجانب الصرفي:

عرض الهنود للظواهر الصرفية في اللغة السنسكريتية، فدرسوا الاشتقاق، وإمكان رد الكلمات إلى جذور، أو أصول، ولواحق أو زوائد، ورأوا أن الجذور واللواحق لا يستغنى أحدهما عن الآخر؛ فهما غير قابلتين للاستقلال. ونتوصل إلى معرفة الجذور عن طريق التصريف؛ لأنها لا تقبل التقسيم.

وكان الهنود يرون أن الصرف لا يستغني عن النحو لأنه مكمل له.

وقسموا الأسماء من حيث الجنس إلى مذكر ومؤنث ومحايد = (وهو ما يستوي فيه التذكير والتأنيث).

ومن أعظم الأفكار اللغوية – صرفية ونحوية – فكرة (الصفر اللغوي) تلك الفكرة التي كان لها أثر بالغ في الدرس اللغوي الحديث والمعاصر.

وقد فهمها العرب قديما، وحللوا على أساسها كثيرا من الظواهر الصرفية والنحوية، وذلك تحت فكرة الأصل والفرع، فالأصل هو التذكير وفرعه التأنيث، والأصل هو التنكير والتعريف فرع عنه، والمفرد أصل والمثنى والجمع فرعان، وهكذا.. كل مثال دل على معنى بدون علامة، ودل نفس المثال على معنى آخر مع وجود علامة زائدة لهذا المعنى الآخر فغياب العلامة هو الصفر اللغوي.

ج- الجانب النحوي:

اهتم الهنود بالنحو والظواهر النحوية اهتماما واضحا بدليل ظهور اثنتي عشرة مدرسة نحوية عندهم، وبدليل (تقديسهم) علم النحو، الذي كان عندهم أكثر قداسة حتى من الكتب المقدسة.

حلل الهنود الجملة إلى كلمات، وعَدَّوا الكلمة المفردة وحدة للمعنى، وقدموا تعريفات دقيقة لأقسام الكلام، كما وضعوا قواعد كثيرة جدا بلغت أربعة آلاف قاعدة نحوية قائمة على الوصف وليس على الحدس والتخمين.

د- الجانب المعجمي الدلالي:

تأخر النشاط المعجمي والدلالي عند الهنود عن النشاط الصوتي والصرفي والنحوي.

فألفوا في (الغريب) و (معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات) و(معاجم الألفاظ) بأنواعها المختلفة، ومعاجم (المشترك اللفظي).

واهتم الهنود بموضوعات الدلالة فدرسوا العلاقة بين الكلمة ومعناها وما إذا كانت هذه العلاقة طبيعية لزومية أو عرفة اصطلاحية.

ومن الموضوعات الدلالية إشارتهم إلى أهمية السياق ودوره في تحديد المعنى، وتعرضهم لتغير المعنى وأسبابه وصوره، واتجاهاته، وعرضهم كذلك للترادف والمشترك اللفظي والتضاد... الخ.

* * *

الدرس اللغوي عند اليونان

اهتم اليونان باللغة اهتماما كبيرا، فدرسوا بنية اللغة ونشأتها، وبحثوا في أصولها وتاريخها، ويعود إليهم الفضل في اطلاعنا على كثير من المعارف اللغوية.

من المعروف أن دراساتهم اللغوية نشأت في أحضان الفلسفة، ولخدمتها، ولذلك ورد إلينا في محاورة من محاورات أفلاطون تسمى محاورة (كراتيلاس)، ورد إلينا فيها نقاش لغوي بين متحاورين – كراتيلاس، وهر موجينس – حول طبيعة العلاقة بين الأشياء والألفاظ التي تدل عليها، وما إذا كانت علاقة طبيعة ضرورية، أو علاقة عرفية اصطلاحية.

نشأ عن هذا الحوار الذي استمر حوالي قرن من الزمان ظهور مدرستين يونانيتين هما مدرسة الشذوذيين ومدرسة القياسيين.. يتزعم الأولى كراتيس، ويتزعم الثانية أرستراخوس.

يرى كراتيس أن اللغة فطرة إنسانية لا تخضع للقوانين أو القواعد المطردة، أما أرستراخوس فيرى أن اللغة أمر طبيعي.

هذه أول فكرة أسهم بها أفلاطون في الدرس اللغوي، وهناك أفكار أخرى طرحها، منها فكرته عن الجملة التي يعرفها بأنها تعبير عن أفكارنا بواسطة الأسماء والأفعال، وهو يرى أن الاسم والفعل هما العنصران الأساسيان في الجملة.

وأما جهود أرسطو في دراسة اللغة اليونانية فنعرضها في السطور التالية.

كان لدى أرسطو نظرية عامة في اللغة، فقد وضع مستويات مختلفة تدرس اللغة على أساسها، وتتميز أشكال الكلمات والجمل، وتتحدد معاني الكلمات في حال إفرادها أو تركيبها وتذكر الفروق بين أنماط اللغة المنطوقة والمكتوبة.

ويتجلى الجانب الثالث من جهود أرسطو في إرساء مجموعة من التعريفات التي أفدنا منها حتى الآن؛ فقد عَرَّف الاسم بأنه لفظ مفرد يدل على معنى بالاصطلاح، لا يدل على زمن ولا يفيد أي جزء من أجزائه معنى على انفراد.

وعرف الفعل بأنه لفظ مفيد يدل على حدث، وليس لأي جزء من أجزائه معنى قط، وهو يدل دائما على معنى يسند إلى شيء ما.

أما الجملة فإنها كلام مفيد قد يدل الجزء من أجزائها على معنى بانفراد.

وجاء الرواقيون وعلماء الإسكندرية فأدلوا بدلوهم في هذه الأبحاث اللغوية، فوضع (ثراكس) أول كتاب في قواعد اللغة اليونانية درس فيه أصوات اليونانية.

وتوسع علماء الإسكندرية في الموضوعات السابقة التي أشار إليها أفلاطون وأرسطو حول تصنيف الأصوات وأقسام الكلام وتحليل حالات الإعراب وبنية العبارة.

الدرس اللغوي عند الرومان

ورثت الإمبراطورية الرومانية معظم أملاك الإمبراطورية اليونانية، وكانت اللغة اللاتينية أختا شقيقة للغة اليونانية القديمة فنقل الرومان التراث اللغوي الذي تركه اليونان، ولم يزيدوا عليه شيئا مما يتعلق بالابتكار والجدة والسبق.

ألّف (فارّو) = القرن الأول قبل الميلاد كتابا سماه (اللغة اللاتينية) قسم فيه الكلام إلى أربعة أقسام.

وألف (بريشيان) (ق 6 ق.م) كتابه عن (قواعد اللغة) يقع في ثمانية عشر جزءًا، ذكر فيه تعريفه المشهور للجملة، وهو أنها نظم من الكلام يدل على معنى كامل.

الدرس اللغوي في العصور الوسطى
(من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر)

أولا – الدرس اللغوي في أوربا:

حدثت مجموعة من الأمور في هذه الفترة (من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر) كانت كفيلة بحدوث تطور كبير في البحث اللغوي في أوربا، ولكن ذلك لم يحدث.

من هذه الأمور انتشار المسيحية بين الشعوب الوثنية في أوربا، وقيام المبشرين بترجمة النصوص الدينية (التوراة والإنجيل) إلى لغات هذه الشعوب.

ولم تكن هذه الشعوب تعرف الكتابة؛ فاستحدث المبشرون أبجديات لها، ومنها الأبجدية الكلتية والجرمانية.

وكان المتوقع أن يؤدي هذا النشاط إلى تقدم حقيقي في مجال الدراسة الصوتية، لكن ذلك لم يحدث.

وظهرت كتيبات تساعد المسافرين والحجاج والجنود على التفاهم مع الأجانب.

تلك كانت العوامل الجديرة بتطور البحث اللغوي في أوربا في العصور الوسطى، لكن هذا التطور لم يحدث.وعلى الرغم من التطور والتغير المستمر في اللغة اللاتينية خلال هذه العصور (أكثر من ألف عام) لم يتنبه العلماء إلى ذلك.

وشاع في هذه العصور فكرة أن اللغة العبرية هي أم اللغات الإنسانية.

ثانيًا- البحث اللغوي عند العرب:

كان المفترض ألا نعرض لهذا الموضوع هنا؛ لسببين على الأقل، هما: أننا معنيون في الأساس باستعراض تاريخ البحث اللغوي في الغرب، والسبب الثاني أننا سوف نظلم الفكر اللغوي العربي إذا عرضنا له في هذا الموجز، أو الحيز الضيق؛ لأن ما قدمه العرب المسلمون في هذا المجال أكبر وأعظم وأجل من أن يشرحه مجلد، أو مجلدات.

نشأ البحث اللغوي عند العرب في ظل الإسلام ولخدمته وخدمة القرآن الكريم والسنة الشريفة الطاهرة.

وإذا أردنا توضيح الخطوط العامة للدرس اللغوي عندهم واعتمدنا مستويات التحليل وفروع علم اللغة؛ كان التصور العام كالآتي:

❖ جهودهم الصوتية:

عرض العرب لأصوات اللغة العربية في بحوث التجويد ومقدمات المعاجم وكتب النحو والصرف.

❖ جهودهم النحوية والصرفية:

ينسب التأليف الأوَّلي في النحو إلى أبي الأسود الدؤلي، ثم جاءت أجيال كثيرة من القراء على رأسهم عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن اسحق وغيرهم كثير كان لكل واحد منهم نظرات وإسهامات في موضوعات صرفية ونحوية كثيرة وقد أفاد منهم سيبويه في تجميع أفكاره ومسائله وموضوعاته التي ضمنها كتابه الأساسي في النحو العربي.

وظهرت عند اللغويين العرب مدارس نحوية متميزة، عرف منها مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد ومدرسة الشام ومدرسة مصر ومدرسة الأندلس.

❖ جهودهم المعجمية والدلالية:

ترك العرب معاجم الموضوعات، ومعاجم الألفاظ، كما تركوا معاجم متخصصة أو معاجم اصطلاحية.

ودرس العرب الموضوعات الدلالية، واشترك في الدراسة طوائف ضخمة من العلماء، على رأسهم علماء التفسير وشراح الأحاديث النبوية، وعلماء الأصول – أصول الفقه – والنحاة والصرفيون والبلاغيون ونقاد الأدب وأهل الفلسفة وعلماء الكلام وغيره كثيرون.

وفي كلمة واحدة: لقد درس هؤلاء جميعا موضوعات دلالية غطت جميع الموضوعات التي درسها المعاصرون، وبنفس الدقة والعمق مع الأخذ في الاعتبار أنهم سبقوا إلى تناول موضوعات لم يعرض لها العلماء في الغرب، ومن يعترض على هذا الرأي الخاص بنا فليقرأ – بعمق وتفهم – تراث علماء أصول الفقه في مباحثهم الدلالية.

* * *

المرحلة الانتقالية

تبدأ هذه المرحلة من نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلاديين، وتنتهي بنهاية القرن التاسع عشر.

❖ الدرس اللغوي خلال عصر النهضة:

يعد عصر النهضة في أوربا بداية مسيرة طويلة لبناء صرح الحضارة التي يعيش الناس في كنفها حتى الآن. ويبدأ هذا العصر من مطلع القرن الخامس عشر الميلادي وينتهي بنهاية القرن السابع عشر.

حدثت أمور في هذا العصر، وظهرت عوامل كثيرة كانت جديرة بتطور الدراسات اللغوية تطورا ملحوظا.

وكانت هذه العوامل جديرة بإحداث تطويرات كثيرة في الدرس اللغوي لكن الذي حدث فقط هو ما يلي:

- إنشاء معاجم لغوية، وكتب مدرسية في اللغات الأجنبية.
- كثرة البحوث التي تهدف إلى إثبات القرابة اللغوية بين العبرية والآرامية والسوريانية والعربية.
- كان المتوقع أن تزدهر الدراسات الوصفية التي تدرس اللغات في العالم الجديد، وأن توضع لها أبجديات ونظم كتابة ولكن كثيرا من ذلك لم يحدث.
- ولعل السبب الأساسي في عدم حدوث التطور هو سيطرة الأفكار والتقاليد اللغوية في الدرس اللاتيني على أذهان العلماء.

❖ القرن السابع عشر:

استمر النشاط اللغوي الذي كان سائدا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع ملاحظة أمرين جديدين في الدرس اللغوي، هما:

- **النشاط اللغوي الذي قام به رهبان دير (بور رُوَيَّال) ولاسيما (آرنولد) و (لانسيلو)؛ فقد وضعا الأساس لما سمياه (القواعد اللغوية العامة) والمعللة تعليلا عقليا، وقد أسسا هذه القواعد العامة على مقارنة اللغة الإيطالية والفرنسية وما وجداه من تشابه كبير بين قواعدهما وقواعد اللغة اللاتينية.**
- **ظهور فكرة اللغة العالمية الاصطناعية التي تجمع مزايا التصنيف المنطقي لجميع المفاهيم مع تعبير مشترك عالمي معتمد على أبجدية صناعية.**

❖ البحث اللغوي في القرن الثامن عشر:

استمر النشاط اللغوي للاتجاه العقلاني في دراسة اللغة، وهو الاتجاه الذي أرسته جماعة (بور رويال)، وتتلخص ملامحه فيما يلي:

- **اللغات كلها تعبر عن الأفكار.**
- **هناك علاقة بين الجملة في النحو والقضية في المنطق.**
- **ينبغي أن تحلل الجملة على أساس واحد بغض النظر عن اللغة المعنية الخاضعة للتحليل.**
- **كانت البحوث تجري لوضع القواعد العامة التي تصلح لكل اللغات.**

واستمر البحث في اللغات الحية في آسيا وأفريقيا، وقام كثير من الباحثين بوضع قوائم للمفردات، وعقد مقارنات بين اللغات.

واستمر البحث كذلك في أصل اللغات.

وحدث تطور في الدراسات التاريخية عندما بدأ البحث في تاريخ اللغات يبتعد عن الفروض التخمينية.

❖ البحث اللغوي في القرن التاسع عشر:

كان القرن التاسع عشر قرن البحوث اللغوية التاريخية والمقارنة، ولاسيما المقارنات بين اللغات الهندو أوربية؛ فقد شهد هذا القرن تطور المفاهيم الحديثة – النظرية والمنهجية – لعلم اللغة

التاريخي والمقارن، وكان الاهتمام الأكبر للباحثين موجها لهذا الجانب أكثر من بقية الجوانب.

ويرجع السبب الأساسي في ازدهار الدراسات التاريخية والمقارنة إلى اكتشاف اللغة السنسكريتية قبيل نهاية القرن الثامن عشر (1786م) على يد السير (وليم جونز)؛ فقد كان اكتشاف هذه اللغة له أثر بالغ في حقل الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة.

بدأ الدرس اللغوي المقارن على يد عدد من العلماء الألمان من أمثال (فرانز بوب = 1791–1867) و(يعقوب جريم = 1785–1863) و(زيك بوت = 1802–1887م) و(شليجل).

انطلق هؤلاء العلماء يدرسون القرابة بين اللغات ويصنفون هذه اللغات إلى أسر وعائلات وأدى ذلك إلى نضج هذه الدراسات وتبلورها على يد جيل لاحق من أمثال (راسك 1878–1832) و (شليشر) و (ماكس مولر) وغيرهم.

وامتدت آفاقه كذلك لتشمل عائلات أخرى مثل عائلة اللغات السامية التي تقع خارج نطاق المجموعة الهندية الأوربية.

ومع ازدهار المقارنات في هذا القرن ظهرت بحوث لغوية في مجالات أخرى؛ مجال علم اللغة الوصفي، ومجال دراسة اللهجات، ومجال الجغرافيا اللغوية،.. الخ.

لكن الحدث الأكبر والأهم هو ظهور جماعة النحاة الشبان وكان نشاطهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعلى أيديهم ازدهرت الدراسات اللغوية التاريخية، فقد كان شعارهم – الذي صاغه وعبر عنه بوضوح هرمان بول (1846–1921) – لا وجود لبحث لغوي حقيقي بدون النزعة التاريخية.

لقد أضفوا الانضباط التام على المنهج التاريخي المقارن الذي كان حديث التأسيس، وكانت بداية هذا الإنجاز من خلال دراستهم موضوع (التغيرات الصوتية).

وتمت إعادة تركيب أقدم الأطوار والمراحل للغات الهندية الأوربية على نحو أكثر ثباتا وشمولا.

وكان النحاة المحدثون أول من اهتم اهتماما جدا بقضية اللهجات الحية.

تناولت هذه الوحدة أهداف التعرض لتاريخ البحث اللغوي، وهي أهداف يتصل بعضها بالماضي، وبعضها بالحاضر وبعضها بالمستقبل، فعرضت للتفكير اللغوي عند الأمم القديمة (المصريين الصينيين والأكاديين والهند واليونان والرومان) وألمت بالتفكير اللغوي في العصور الوسطى في أوربا وعند العرب ثم عرضت لألوان هذا التفكير عند مطلع العصر الحديث في عصر النهضة والقرنين

الثامن عشر والتاسع عشر معرَّفةً بالدرس اللغوي التاريخي والمقارن.

وتناولت بالتعريف الموجز البحث اللغوي في القرن العشرين، في نصفه الأول وجهود فرديناند دي سوسير والمدارس اللغوية البنيوية، وفي نصفه الثاني وجهود تشومكسي وفلاسفة اللغة والمدرستين التوليدية التحويلية والتداولية.

المرحلة الحديثة
البحث اللغوي في النصف الأول من القرن العشرين
يبدأ الدرس اللغوي في هذه المرحلة
برائد علم اللغة الحديث (دي سوسير)

ولد (فرديناند دي سوسير = 1857–1913) في جنيف وكان أحد علماء الدرس التاريخي المقارن، وظل ينشر أبحاثه في هذا المجال إلى أن قام بتدريس علم اللغة العام لمدة ثلاث سنوات في شكل محاضرات مملاة جُمِعَتْ بعد وفاته بثلاث سنوات وطبعت عام 1916 تحت عنوان (محاضرات في علم اللغة العام).

<u>وقد أسس دس سوسير لمجموعة من المبادئ اللغوية كانت منطلقا لظهور علم اللغة الحديث، منها:</u>

(1) اللغة ظاهرة اجتماعية:

وينبغي دراستها بحسب المنهج العلمي الذي يدرس الظواهر الاجتماعية، بمعنى أنها ظاهرة تختلف باختلاف المجتمع الذي تستعمل فيه، وتخضع للقوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية الأخرى.

(2) اللغة نظام من العلامات الوضعية:

وينبغي دراستها بحسب المنهج الذي تدرس به العلامات.. إنها جزء من العلامات الاصطلاحية، ومنهج دراستها هو منهج (السيميوطيقا) أو علم العلامات.

(3) التفريق بين اللغة والكلام:

فرق دي سوسير بين <u>اللغة</u> بوصفها نظاما من القواعد المخزونة في ذهن المتكلمين يتحدثون

بحسب هذه القواعد، وبين الكلام بوصفه نشاطا من المتكلمين بحسب قواعد اللغة.

(4) التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية:

فرق دي سوسير تفريقا حاسما في دراسة اللغة بين الطريقة الوصفية التي تدرس الظاهرة اللغوية في مكان محدد وزمان محدد ومستوى لغوي محدد، وبين الطريقة التاريخية التي تدرس الظاهرة اللغوية في مكان محدد ومستوى لغوي محدد، ولكن في فترتين زمنيتين مختلفتين فأكثر.

ولم يسمح بالخلط بين الطريقتين أو المنهجين ضمانا لتحقيق صفة العلمية للدراسة اللغوية وخوفا من الخلط والاضطراب في نتائج الدراسة.

(5) التمييز بين العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية:

ميز دي سوسير بين هذين النوعين؛ لأنه نظر إلى اللغة بوصفها نظاما قائما على التقابلات والقيم الخلافية، وأساس تحليل هذا النظام هو فهم البنية الداخلية للغة عن طريق فهم العلاقات بين الوحدات الداخلية للغة.

لكل ما سبق ميز بين العلاقات الرأسية والأفقية في دراسة اللغة دراسة علمية مضبوطة.

- العلاقات الرأسية تسمى العلاقات الجدولية، وترتبط باختيار الوحدات والكلمات لتي تملأ (خانة) أو تصلح لشغل موقع من المواقع في بناء الجملة، مثل العلاقات التي تربط: ضرب، كتب، لعب، نجح، ذاكر،.. الخ. والعلاقات التي تربط: عمرو، زيد، محمد، علي، سعد.. الخ. والعلاقات التي تربط: مِنْ، إلى، على، في.. الخ.

ويتم الاختيار بين وحدات تنتمي كل منها إلى قائمة من القوائم السابقة وكل واحدة تصلح أن تكون مقابلا استبداليا في الجملة.

- العلاقات الأفقية وتسمى العلاقات التركيبية، وترتبط بالعلاقات النحوية بين عناصر بناء الجملة، مثل العلاقة بين الفعل والفاعل والمفعول به أو بقية المكملات في الجملة الفعلية، ومثل العلاقة بين المبتدأ والخبر والنواسخ والتوابع في الجملة الاسمية.

تلك أهم المبادئ التي أرسى دعائمها دي سوسير فاستحق بجدارة أن يكون رائد علم اللغة الحديث، واستحق أن يفتح الباب أمام الدراسات العلمية للغة، وأن يؤصل لكثير من مناهج الدراسة، واتجاهات الدراسة أو مدارسها اللغوية.

وقد سبق التعريف بمناهج البحث في علم اللغة، وها نحن أولاء نحاول التعريف باتجاهات البحث أو مدارسه.

* * *

مدارس علم اللغة

ظهرت هذه المدارس وتميزت في النص الأول من القرن العشرين بعد وضوح مفهوم الدراسة العلمية للغة.

❖ اشتهر من هذه المدارس ما يلي:

1- مدرسة براغ، وقد تسمى حلقة براغ:

تأسست عام 1926م على يد ثلاثة من كبار اللغويين هم: تروبتسكوي، وجاكوبسون، وكارسفسكي.

- تحديد حقيقة (الفونيم) في أنه الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التحليل أو التجزيء إلى وحدات فونولوجية أكثر صغرا. وقد عرفه تروبتسكوي بأنه – أي الفونيم – كل تعارض بين صوتين يمكن أن يميز – في لغة ما – بين معنيين فكريين. مثل التمييز بين: (زار) و (سار) و (صار)، لما اختلف المعنى كان كل من (ز) و (س) و (ص) فونيما مستقلا.
- أرسوا دعائم الدراسة الفونولوجية القائمة على دراسة التقابلات، أو القيم الخلافية الاستبدالية في لغة من اللغات.

2- مدرسة كوبنهاجن، أو حلقة كوبنهاجن:

تأسست في الدنمرك، ومن أبرز أعلامها (أوتوجسبرسن) و (بدرسن) و (هلمسليف).

وقد اهتمت هذه المدرسة بمعظم المبادئ التي أرساها فرديناندي دي سوسير، فيما عدا التفريق بين اللغة والكلام الذي اعترض عليه جسبرسن، ورأى أنه غير دقيق.

لكنهم عمقوا بقية مبادئ دي سوسير، وتبنوها، ولاسيما القول بالطبيعة الاجتماعية للغة، وإرساء دعائم المنهج الوصفي.

واشتهر (هلمسليف) من أعضاء هذه المدرسة أكثر من زملائه، ونسبت إليه المدرسة في رأي كثيرين؛ لأنه قدم نظرية تسمى (الجلوسماتيك) في تحليل العلاقات بين وحدات التركيب صاغها بطريقة رياضية ظلت صعبة التطبيق لطبيعتها الرياضية، وعدم وضوح التعبير عنها لكنها أفادت فيما بعد في الترجمة الآلية وتشفير اللغة وأنظمة الحاسب الآلي.

❖ المدرسة الإنجليزية:

يعد اللغوي الإنجليزي – جون فيرث (ت 1960م) رائد هذه المدرسة، على الرغم من وجود من سبقه من اللغويين الانجليز، منهم هنري سويت، ودانييل جونز، وغيرهما.

أقام جون فيرث مدرسته في إطار علم اللغة البنيوي وتحت المنهج الوصفي الذي يتجه إلى اللغة الحية المنطوقة يدرسها ويحللها وفق أسس المنهج الوصفي.

ويركز فيرث على الحدث اللغوي ويدرسه في ضوء السياق اللغوي وغير اللغوي متأثرا في ذلك بفكرة (مالينوفسكي) عن المقام أو سياق الحال.

كما يركز على أهمية الجانب الاجتماعي في تحليل اللغة وفهم ظواهرها والوصول إلى حقيقتها، ويحدد مستويات التحليل للوصول إلى المعنى في الخطوات التالية:

- المستوى الصوتي: ويدرس الوحدات الصوتية ودلالاتها.
- المستوي الصرفي: ويدرس الوحدات الصرفية ودلالاتها.
- المستوى النحوي: ويدرس الوحدات النحوية ودلالاتها.
- المستوى المعجمي: ويدرس الوحدات المعجمية ودلالاتها.
- المستوى السياقي: ويدرس الحدث المنطوق على مستواه اللغوي السابق، وعلى مستواه الاجتماعي المقامي للوصول إلى المعنى النهائي للحدث المنطوق.

وقد استمرت هذه المدرسة في العطاء على يد (الفيرثيون الجدد) وعلى رأسهم (هاليدي) و (ليونز) و (ميتشيل) و (روبنز) الذين يواصلون بحثهم في إطار مبادئ المدرسة الاجتماعية.

❖ المدرسة الأمريكية:

أسسها اللغوي الأمريكي (ليونارد بلومفيلد) متأثرا بأستاذه عالم النفس السلوكي (واطسون) وأفكار علم النفس السلوكي.

وقد سادت هذه المدرسة أمريكا وسطرت على البحث اللغوي فيها في النصف الأول من القرن العشرين وخضعت للاتجاه البنيوي العام في البحث اللغوي، وتميزت مع ذلك بالسمات الآتية:

- الوصفية: لأنها تعتمد المنهج الوصفي بشروطه وأسسه.
- التجريبية: لأنها تعتمد على التجربة في التحقق من صحة التحليل ونتائجه.
- السلوكية: لأنها تأثرت بالمنهج السلوكي الذي يربط الاستجابة بالمثير.
- التوزيعية: لأنها تحلل البنية على أساس التوزيع للعناصر والوحدات اللغوية.

وظلت هذه المدرسة سائدة حتى آخر النصف الأول من القرن العشرين إلى أن ظهرت اتجاهات ومدارس أخرى سوف نعرض لها بإذن الله.

المرحلة المعاصرة
البحث اللغوي في النصف الثاني من القرن العشرين

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطورات كثيرة في علم اللغة، فبدأ الدرس اللغوي يتحول إلى اعتناق مبادئ وأفكار تختلف اختلافا جذريا عن المبادئ والأفكار التي سادت في النصف الأول من القرن نفسه.

المدرسة التوليدية التحويلية

تنسب هذه المدرسة إلى اللغوي الأمريكي (نعوم تشومسكي) الذي ولد سنة 1928م، ودرس في بنسلفانيا.

أسس تشومسكي مدرسته اللغوية على مجموعة من المبادئ أهمها:

- **التفريق بين القدرة والأداء.**
- **اللغة قدرة فطرية وليست ظاهرة سلوكية.**
- **التفريق بين البنية السطحية والبنية العميقة.**
- **الاعتماد على التوليد والتحويل في باء الجمل.**
- **الاهتمام بالنحو والمعنى أكثر من اهتمام مدرسة بلومفيلد السابقة بهما.**
- **اشتراك اللغات كلها في (النحو العالمي) أو (القواعد العامة).**

وقد قدم تشومسكي للدرس اللغوي مجموعة من الأفكار تكاد تعادل في قيمتها وآثارها في مسار التحليل اللغوي ما قدمه من قبل فرديناند دي سوسير.

❖ **من أهم ما قدمه في هذا الشأن ما يلي:**

- **ربط التحليل اللغوي بالعمل الحاسوبي.**
- **ربط العمل في مجال اللغة بالعمل في مجال المخ والأعصاب.**

- أضاف إلى التحليل اللغوي تحليل النحو وتحليل المعنى.
- فرق بين القدرة أو الكفاءة والأداء.
- جعل هدفه العام الوصول إلى القواعد الشمولية بين كل اللغات، وهو ما عرف بالنحو العالمي.

إلى غير ذلك من الإضافات اللغوية الحقيقية التي غيرت مسار الدرس اللغوي لدرجة جعلت بعض الدارسين يصف ما قدمه بأنه ثورة حقيقية في علم اللغة.

❖ القواعد التوليدية:

هي مجموعة خاصة من القواعد وضعها تشومسكي، مستأنسا بالرياضيات؛ لاكتشاف الطاقة الإبداعية داخل اللغة.

إن الجملة الصحيحة هي التي يمكن أن تولد منها عدة أشكال تزداد كلما زدنا عنصرا، أو نقصنا عنصرا، وقد انطلقت فكرة التوليد من موضوع تحليل المكونات المباشرة الذي كان سائدا عند مدرسة بلومفليد ولكن تشومسكي طوره بما يناسب نظريته.

مثال: فتح الرجلُ البابَ.

❖ يمكن أن يتولد عن المثال السابق أمثلة منها:

فتح البابَ الرجلُ.

البابَ فتح الرجلُ.

الرجُ فتح البابَ.

وهكذا. ولو زدنا في بناء هذه الجملة عنصرا آخر لحصلنا على توليدات لجمل أكثر عددا.

❖ القواعد التحويلية:

ومعناها أن الجملة الصحيحة التي تم توليدها يمكن تحويلها إلى صيغة أخرى.

مثال: فتح الرجل الباب.

يمكن أن نحول الجملة السابقة إلى المبني للمجهول، أو المطاوعة أو الاستفهام أو النفي، أو الحصر، أو الرجاء... الخ.

- فتح الرجلُ البابَ.

- فُتح البابُ.
- انفتح البابُ.
- هل فتح الرجلُ البابَ؟
- ما فتح الرجل الباب.
- إنما فتح الرجل الباب.
- عسى أن يفتح الرجل الباب.
- الذي فتح الباب هو الرجل.
- ما فتح الباب إلا الرجل.

وهكذا إلى آخر ما تسمح به قواعد اللغة المعينة من جمل صحيحة تتحول عن جملة أساس مولدة.

❖ نظرية التحليل التكويني:

تأسست هذه النظرية على يد أتباع تشومسكي وتلاميذه وخصوصا (كاتز) و (فودور) اللذين اضطرا إلى إدخال المعنى، أو المكون الدلالي في التحليل اللغوي، بعد أن أخرج لهم الحاسوب جملة صحيحة نحويا ومعجميا لكنها فاسدة المعنى والدلالة، تلك الحملة هي:

الأحلام الخضراء عديمة اللون تنام بعنف.

البناء الصوتي لكل كلمة سليم وصحيح، والصياغة الصرفية صحيحة، والإسناد النحوي صحيح من الناحية الشكلية والمفردات عربية موجودة في المعجم، ولكن أين الخلل؟

يكمن الخلل في الجملة السابقة في نظام المعاني حيث لا تأتلف الوحدات معا لتنتج لنا معنى تركيبيا صحيحا؛ فاقترح أصحاب النظرية حلا يقوم على تحليل معنى كل كلمة إلى عناصره المعنوية الصغرى، أو ما سموه (المكونات الدلالية).

واستندوا إلى أنه إذا تم تحليل المعنى إلى عناصره الصغرى كما تم تحليل أجزاء الجملة إلى عناصرها، وتم إدخال ذلك كله إلى الحاسوب فإنه سوف يخرج لنا جملا صحيحة المعنى والتركيب.

❖ فمثلا كلمة (رجل) تتألف مما يلي:

+ اسم + محسوس + حي + بشري + ذكر + بالغ.

مدرسة فلاسفة اللغة والتحليل التداولي

عنى الفلاسفة وعلماء المنطق باللغة من قديم الزمان، فقد فكر في اللغة أفلاطون وأرسطو وغيرهما، وقدموا تحليلات لغوية أفدنا منها حتى الآن، وعنى بها فلاسفة العصور الوسطى وعصر النهضة إلى بداية القرن العشرين.

لكن الجديد هنا في النصف الثاني من القرن العشرين هو اتجاه فلاسفة اللغة وخصوصا مدرسة أوكسفورد إلى دراسة اللغة من زاوية جديدة ردت الاعتبار إلى شق كبير من اللغة هو جانب الاستعمال الحي في المقام المعين أو الموقف المعين.

نتذكر الآن تفريق دي سوسير بين (اللغة) و (الكلام) ونتذكر اهتمامه باللغة لأنها نظام من القواعد المخزونة في ذهن الجماعة اللغوية، ولأنها عامة، ومنضبطة، ويسهل دراستها. أما الكلام فيصعب دراسته دراسة علمية لأنه فردي، ومتغير، ومختلف باختلاف الأفراد المستعملين، وباختلاف المواقف والمقامات.

جاء فلاسفة اللغة المعاصرون ورأوا أن هذا الجانب جدير بالدراسة والاهتمام والتحليل؛ لأنه يتعلق باستعمال اللغة استعمالا حيا وواقعيا، ويتعلق بالهدف من استعمال اللغة.

نظر هؤلاء الفلاسفة إلى اللغة فوجدوا قسما منها يؤدي وظيفة لغوية لم يلتفت إليها اللغويون بما هي جديرة به.. إنها وظيفة اللغة = العمل، أو اللغة = الفعل، أو اللغة = الأداء بمعنى أن الكلام نفسه عمل من الأعمال؛ ولذلك سماه الفيلسوف الإنجليزي (جون أوستن) الأفعال الكلامية Speech Act، ويطلق عليها كذلك الأفعال الإنجازية؛ لأن المتكلم يؤدي بها عملا، أو ينجز بها عملا أو يفعل بها فعلا.

ولعل أشهر مثال لهذا النوع من الاستعمال اللغوي هو أفعال البيع والشراء والعقود والزواج والطلاق، ومعظم الأدعية التي تمثل أركانا في العبارات الإسلامية، مثل تكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة في الصلاة فهذه أقوال أفعال، أو أعمال.

هكذا بدأ (جون أوستن) عمله في الأفعال الكلامية أو التداولية. وبالطبع له في هذه النظرية تفصيلات وتحديدات كثيرة لا داعي للخوض فيها في هذا المقام.

ثم جاء تلميذه وزميله (جون سيرل) وطور كلام أستاذه، ووسع في النظرية، ودقق في شروطها ومن بعدهما جاء (بول جرايس) وعمق النظرية وأضاف ما يسمى بمبدأ التعاون الذي وضح فيه المبادئ الفرعية، والشروط والخطوات.

إن فكرة التداولية قائمة على دراسة الجانب الاستعمالي للغة وربطها بوظيفتها التي تؤديها في الموقف المعين، وهي بذلك أحيت فكرة (الاستعمال) عند اللغويين العرب القدماء وأحيت فكرة (الكلام) عند دي سوسير، وفرقت بين ما يمكن تسميته الوضع، والتداول أو التخاطب.

* * *